روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

55

ع x ٢

قضية ذيل الطاووس

Looloo
www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ع×٢

سلسلة ألغاز بوليسية ، تجمع ما بين الغموض والإثارة والحركة ، وتسبح بنا - فى كل مرة - فى عالم جديد ، يسعى كل أبطاله - على اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة الجريمة ، والسعى إلى تحقيق العدالة ، وجميعهم يحملون شعارًا واحدًا .. شعار (ع×٢)

د. نبيل فاروق

١ - رسالة ..

الأستاذ / عصام كامل .. الصحفى بصفحة الحوادث ..

دون أية تحية ..

من المؤكد أنك ستقرأ خطابى هذا ، الذى أرسلته إلى عنوان منزلك ، وليس إلى الجريدة التى تعمل بها ؛ لأننى استخدمت على المظروف اسمك الثلاثى ، الذى يجهله القارئ العادى ، ولأن الفضول سيتملكك حتمًا ، عندما تقرأ الاسم الذى استعرته ، على ظهر الخطاب ، فى خانة (المرسل) ، والذى هو فى الواقع اسم أقرب أصدقائك فى المرحلة الثانوية ، والذى لقى مصرعه فى أثناء تلك الرحلة النيلية ، منذ أكثر من عشر سنوات ..

لعلك تتساءل الآن : من أنا ؟!

لماذا أرسل إليك مثل هذا الخطاب ؟!

وما الذى أريده منك بالضبط ؟!

ومن الطبيعى أنك لن تحصل على جواب السؤال الأوّل ..

أو الثانى ..

أما السؤال الثالث ، فجوابه بسيط للغاية ..

فما أريده هو أن أقتلك ..

نعم .. كما قرأتها تمامًا ..

أريد أن أقتلك ..

وأنا رجل اعتاد أن يفعل ويحقّق كل ما يريد ..

مهما كان الثمن ..

وسيدهشك أننى أعلم الكثير عنك ..

الكثير جدًا ..

أكثر مما تتصوّر ..

ولكن مشكلتى أننى رجل من طراز خاص للغاية ..

لقد اعتدت أن أحصل على أقصى قدر من المتعة ، من أى عمل أقوم به ..

وقتلك مباشرة لن يحقّق لى المتعة المنشودة ..

لذا ، فسأعبث بك أوّلاً ..

سألاعبك ، كما يقولون ..

وأثير خوفك ..

وذعرك ..

وهلعك ..

إلى أقصى حد ..

إلى الحد الذى قد يدفعك إلى الانتحار ..

أو قبل هذا بدرجة واحدة ..

فلن يمتعنى أيضًا أن تقتل نفسك ..

أريد أن أقتلك بنفسى ..

بالوسيلة التى أراها ..

وفى اللحظة التى تروق لى ..

هل تعتقد أن كلماتى هذه تشفّ عن الغرور ؟!

أنت على حق إذن ..

فأنا مغرور ..

مغرور ومزهوّ بنفسى ..

إلى أقصى حد ..

(الطاووس)

* * *

ألقى العميد (عادل محمود) نظرة طويلة على ذلك الخطاب ، بعد أن انتهى من قراءته ، ثم هزّ رأسه ، وهو يعيده إلى الصحفى (عصام كامل) ، قائلاً :

ـ الأمر كله يبدو لى ضربًا من العبث السخيف .. من ذا الذى يسعى لقتلك ؟! ولماذا ؟!

أجابه (عصام) فى توتر :

ـ من يدرى ؟! أنا صحفى بقسم الحوادث ، منذ زمن طويل ، وربما كان لى عشرات الأعداء ، ممن وقعوا فى قبضة الشرطة بسببى ، أو حتى بسبب (عماد) و (علا) ، ويفكرون الآن فى الانتقام .

عاد العميد (عادل) يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ أسلوب الخطاب لا يوحى بأن كاتبه مجرّد مجرم عادى .. إنه شخص مثقف متفتح إلى حد كبير .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ هل تحوى قائمتك مجرمًا بهذه المواصفات ؟!

تنهّد (عصام) ، مغمغمًا :

ـ لست أعتقد هذا .

ثم نهض من مقعده ، مضيفًا فى توتر :

ـ إذن فأنت تعتقد أن كل هذا لا يمثّل تهديدًا حقيقيًا .

غمغم العميد (عادل) :

ـ على الأرجح .

ثم أشار بيده ، مستدركًا :

ـ ولكن كن على حذر .

هزّ (عصام) كتفيه ، مغمغمًا :

ـ الحذر لا يمنع القدر .

أجابه العميد (عادل) ، وهو ينهض لمصافحته :

ـ اعقلها وتوكّل على اللّه (سبحانه وتعالى) .

تمتم (عصام) :

ـ ونعم باللّه .

غادر مكتب العميد (عادل محمود) ، فى إدارة مباحث أمن الدولة ، واستقل سيّارته الصغيرة ، وعقله ما زال عاجزًا عن طرد الأمر من عقله ..

بل لقد استعاد ذهنه عبارات الرسالة كاملة ، وهو ينطلق بالسيارة ، عائدًا إلى الجريدة ..

العميد (عادل) كان على حق ..

لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة مجرّد مجرم عادى ..

إنه شخص مثقف حتمًا ..

شخص مريض ، يستمتع بإثارة خوف الآخرين وذعرهم ..

شخص يستخدم الكمبيوتر ، فى كتابة وطباعة

رسائله ، التى تنتهى بتوقيع (الطاووس) ، الذى يعلوه رسم ملوّن أنيق ، لذيل طاووس مفرود ..

تُرى من يمكن أن يفعل هذا ؟!

من ؟!

انقطعت أفكاره بغتة ، مع صوت بوق سيارة قوى ، أعقبه صوت شخص يلقى عبارة ساخطة ، فاتتبه (عصام) إلى أنه يسير وسط الشارع ، فى بطء شديد ، فى أشد لحظات الازدحام ، مما جعله يغمغم مرتبكًا :

ـ آه .. معذرة .. لقد شردت بأفكارى بضع لحظات فحسب ..

وللمرة العاشرة ، منذ تلقّى الرسالة ، راح يبذل قصارى جهده ، لطردها من ذهنه ، وهو يميل فى طريق فرعى ، قاده إلى الشارع الكبير ، الذى يرتفع فيه مبنى الجريدة ، ولم يكد يصل إلى هناك ، حتى أسرع يستقل المصعد ، الذى حمله إلى الطابق ، الذى يحتله قسم الحوادث ، وهتفت زميلته (نجلاء) فور رؤيته :

ـ (عصام) .. لماذا تأخّرت ؟! لقد انتظرك ضيفك

لنصف ساعة كاملة ، وانصرف منذ دقائق قليلة فحسب !

انعقد حاجباه ، وهو يسألها :

ـ أى ضيف ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ قال : إنه زميل دراسة قديم .

سرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، دون أن يدرى سببًا لهذا ، وشعر بجفاف غير مألوف فى حلقه ، جعله يسألها بشىء من الخشونة :

ـ زميل دراسة قديم ؟! وما اسمه ؟!

مطّت شفتيها ، على نحو يوحى بأن أسلوبه لا يروق لها ، وانعقد حاجباها ، وهى تتذكّر الاسم ، قبل أن تهتف :

ـ آه .. اسمه (هانى) .. (هانى صابر) .

اتسعت عينا (عصام) ، وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يردّد الاسم ، قبل أن يهتف فى غضب عصبى :

ـ أية دعابة سخيفة هذه ؟!

سألته فى دهشة :

ـ وما السخافة فى هذا ؟!

صاح غاضبًا :

ـ (هاتى صابر) زميل دراسة قديم بالفعل ، ولكنه لقى مصرعه غرقًا ، قبل عشر سنوات ، فى أثناء رحلة نيلية .

هتفت مبهوتة :

ـ غرق ؟!

ثم ارتجفت فى رعب ، مكملة :

ـ مستحيل ! لقد رأيته بنفسى هنا ..

وأشارت إلى سطح مكتبه ، مضيفة :

ـ لقد ترك رسالة على مكتبك .

انخفضت عينا (عصام) إلى سطح مكتبه فى توتر ، وهو يردّد :

ـ على مكتبى ؟!

وقع بصره على ورقة مطوية ، فاختطفها فى توتر ، وفضّها فى سرعة ، ولم يكد نظره يقع على الكلمات القليلة فيها ، حتى هتف فى غضب :

ـ إنه هو .

فالورقة كانت تحمل كلمات تقول :

ـ هل أفادك لقاؤك بالعميد (عادل محمود) ؟!

والمدهش أنها لم تكن مكتوبة بخط اليد ..

كانت مطبوعة أيضًا بوساطة الكمبيوتر ..

وبأسفلها توقيع (الطاووس) ، وذلك الرسم الملوّن لذيله ..

وكان هذا يعنى أن صاحبها كان يعلم أنه لن يأتى فى موعده ..

بل ويعلم أين هو بالضبط ..

لقد أعدّ تلك الورقة ، قبل أن يصل إلى هنا ..

إنه يراقبه إذن ..

يراقبه بمنتهى الإحكام ..

وفى حدة ، صاح :

ـ كيف وصل ذلك الوغد إلى هنا ؟!

بُهتَتْ (نجلاء) ، وهى تقول :

ـ وغد ؟! أتصف زميلاً قديمًا بالوغد ؟!

صاح فى غضب :

ـ أهذا مبنى جريدة محترمة ، أم حديقة عامة ؟! كيف يصل أى شخص يشاء إلى هنا بهذه البساطة .

قالت فى حيرة :

- إنها صحافة يا أستاذ (عصام) ، وأى مواطن يمكنه مقابلتنا ، فلسنا آلهة على جبل عال .

قال فى حدة :

- بهذه البساطة ؟!

هزَّت كتفيها ، مجيبة :

- إنهم يحتفظون ببطاقته الشخصية حتمًا ، فى مكتب الأمن ، و ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، اندفع خارج المكان كالعاصفة ، فاتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تتساءل :

- ماذا حدث ؟!

أما هو ، فلم يحتمل حتى انتظار وصول المصعد ، وراح يهبط فى درجات السلم قفزًا ، حتى بلغ مكتب الأمن ، فى مدخل الجريدة ، فهتف بضابطه فى حدة :

- من ذلك الضيف ، الذى أتى لزيارتى ؟! كيف تسمحون له بالدخول ، قبل أن أصل ؟!

أجابه ضابط الأمن فى دهشة :

- هذا ليس بالأمر الجديد يا أستاذ (عصام) .. الرجل أكَّد أنه صديق قديم لك ، ويحمل بطاقة شخصية ، وليس من حقنا ..

قاطعه (عصام) فى عصبية :

- وهل تأكَّدت من أنه صديق قديم لى بالفعل ؟!

بدت الحيرة على الرجل ، وهو يجيب :

- وكيف يمكن التأكُّد من أمر كهذا ؟!

صاح به (عصام) :

- وكيف تسمح لشخص ما بالدخول ، دون أن تتأكَّد من هويته ؟!

انتقل غضبه إلى ضابط الأمن ، الذى هتف محنقًا :

- اسمع يا أستاذ (عصام) .. الأوامر التى لدى لا تتضمَّن منع أى شخص من الدخول ، ما دام يحمل هوية سليمة ، ويمكنه عبور بوَّابة الأمن الإليكترونية ، دون أن ينطلق جرس الإنذار منها ، مما يعنى أنه لا يحمل أية أسلحة ، أو أدوات يحظر دخولها ، ثم إننا لم نسمح له بالدخول بكل بساطة ، على الرغم من كل هذا ، وإنما أجرينا اتصالاً بمكتبك أوَّلاً ، وأجابتنا زميلتك ، التى صرَّحت له بالدخول ، باعتباره صديقًا لك ، بغضّ النظر عما إذا كانت صداقته هذه حقيقية أم لا .

عضَّ (عصام) شفتيه فى حنق ، وراح يتحرَّك فى عصبية زائدة ، مبتعدًا عن مكتب الأمن ، و ..

وفجأة ، قفزت إلى ذهنه فكرة ، جعلته يلتفت إلى ضابط الأمن ، هاتفًا :

ـ تقول : إنه كان يحمل بطاقة شخصية .

أجابه الرجل فى سرعة ، وبتوتر ملحوظ :

ـ بالطبع .

عاد إليه (عصام) ، متسائلاً فى لهفة :

ـ هل سجّلت بياناتها ؟!

أجابه الرجل فى حسم :

ـ بالتأكيد .. إننا نسجّل بيانات كل من يدخل إلى هنا .

والتقط ورقة من أمامه ، وقال :

ـ لدينا هنا رقم بطاقته ، وتاريخ صدورها ، واسمه بالكامل .

ثم رفع عينيه إلى (عصام) مستطردًا :

ـ (هانى) .. (هانى عبدالرحمن صابر) .

وانتفض جسد (عصام) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة أعنف مما توقّع ..

بكثير ..

★ ★ ★

« ولكن هذا مستحيل يا أستاذ (عصام) ! »

نطق الصغير (عماد) بالعبارة فى حيرة شديدة ، وهو يتطلّع إلى (عصام) ، قبل أن يتابع ، بكلمات ممزوجة بالدهشة :

ـ صديقك لقى مصرعه بالفعل ، وأنت تؤكّد أنك قد حضرت جنازته بنفسك ، والموتى لا يعودون إلى الحياة .. ليس لمجرّد أن أحدهم قد حصل على بطاقته القديمة بوسيلة ما ، ووضع عليها صورته ، لينتحل شخصية رجل ميت .

قال (عصام) فى عصبية :

ـ لقد راجعت رقم البطاقة فى السجل المدنى بنفسى ، والبيانات التى حصل عليها ضابط الأمن ، من ذلك الشخص ، تنطبق كلها عليها .. ليس هذا فحسب ، وإنما تنطبق أوصاف الشخص نفسه على أوصاف صديقى الراحل ، إلى حد كبير .

قالت (عُلا) فى هدوء ، وبرصانة تفوق عمرها بكثير :

ـ الأوصاف تتشابه ، ويمكن انتحالها فى سهولة ، ثم إن صديقك ، كما وصفته ، شاب فى مثل عمرك ،

نحيل ، طويل ، له شعر مجعَّد ، وعينان سوداوان ، وهذه الأوصاف تنطبق على العشرات .. بل المئات من الشبان المصريين .

هتف (عصام) :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا يفعل كل هذا ؟!

أجابه (عماد) :

ـ من الواضح أنه يبغضك كثيرًا .

أضافت (عُلا) فى سرعة :

ـ أو يسخر منك .

أدار (عصام) عينيه إليها فى غضب ، فلوَّحت بيدها الصغيرة ، قائلة :

ـ إنه مجرَّد استنتاج .

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ وهذا ما أتيت من أجله .

وزفر فى عصبية ، قبل أن يضيف :

ـ أن أعرف .

تبادل الصغيران نظرة قلقة ، قبل أن تقول (عُلا) فى أسف :

ـ معذرة يا أستاذ (عصام) .. أنت صديقنا ، ولا ينبغى أن نتخلَّى عنك ، فى موقف كهذا ، ولكنك

تعلم أن والدنا منعنا من العمل مرة أخرى ، فى هذه القضايا البوليسية .

غمغم (عصام) فى توتر :

ـ أعلم هذا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف ، فى شىء من الحماس :

ـ ولكنه لم يمنعكما من إجابة استشاراتى .. أليس كذلك ؟!

تألَّقت عيون الصغيرين ، وهتف (عماد) :

ـ كلاً بالطبع .

وأضافت (عُلا) فى حماس :

ـ يمكنك استشارتنا فى أى وقت يا أستاذ (عصام) .

أشار (عصام) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ الاستشارة الأولى إذن .. ما الذى يمكن فعله ، فى المرحلة التالية ؟!

أجابه (عماد) فى اهتمام :

ـ دعه هو يقوم بالخطوة التالية .

تراجع (عصام) فى دهشة ، هاتفًا :

ـ بهذه البساطة .

أجابته (عُلا) :

ـ نعم .. بهذه البساطة يا أستاذ (عصام) .. الرجل أعلن خطته بالفعل ، وأكّد أنه سيعبث بك أوّلاً ، وهذا يعنى أنه لن يسعى لقتلك مباشرة .. دعه إذن يقوم بعبثه التالى ؛ حتى يمكننا كشف أسلوبه ووسائل عبثه التى يعنيها .

زفر (عصام) فى توتر بالغ ، مغمغمًا :

ـ لست أشعر بالارتياح لهذا ، ولكن لا بأس .. سنتركه يقوم بالخطوة التالية .

ثم هزّ كتفيه ، مضيفًا فى عصبية :

ـ فهذا كل ما نملكه .. فى الوقت الحالى على الأقل .

قالها ، وغادر منزلهما ، والتوتر ما زال يملأ جسده كله ، وغمغم لنفسه ، وهو يتجه إلى سيّارته :

ـ ترى ما خطوته التالية ؟!

استقلّ السيارة ، وأدار محرّكها ، و ..

وفجأة ، لمح تلك الورقة ، الملصقة على زجاج السيارة من الداخل ..

الورقة التى تقول كلماتها :

ـ قل لى يا أستاذ (عصام) : هل يزعجك أن تنفجر سيارتك ؟

حدّق لحظة فى الورقة ، قبل أن يصرخ :

ـ رباه ! مستحيل !

ووثب خارج السيارة ، وانطلق يعدو مبتعدًا عنها ، فهبّ بوّاب البناية من مقعده ، يهتف فى قلق :

ـ ماذا حدث يا أستاذ (عصام) ؟!

لوّح (عصام) بسبّابته نحو السيارة ، وارتج عليه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ السيّارة !! إنها ..

سأله البوّاب فى حيرة :

ـ ماذا بها ؟!

ارتبك بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حيرة أكثر :

أعتقد أنها .. أعنى المفترض أن ..

بتر عبارته ، وزفر فى عصبية ، ثم هرش رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا شىء .. يبدو أننى قد بالغت فى رد فعلى ، إلى حد ما .

وزفر مرة أخرى ، وهو يعود إلى السيارة ، مكملاً :

ـ من الواضح أنه يواصل عبثه الـ ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّت السيارة بغتة ، و .. ودوّى الانفجار .

* * *

ووثب خارج السيارة ، وانطلق يعدو مبتعداً عنها ، فهبَّ بوّاب البناية من مقعده ..

٢ ـ ساعات الخطر ..

قطع العميد (عادل محمود) ممر المستشفى فى خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يلمح مذيعة التلفاز الشهيرة (نهلة) ، حتى هتف بها :

ـ كيف حاله ؟!

تنهَّدت فى توتر بالغ ، مجيبة :

ـ إصاباته بسيطة ، والأطبّاء يفحصونه بالداخل ، بحثًا عن أية إصابات داخلية محتملة ، ولكن معنوياته متدنية للغاية .

انعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ أمر طبيعى .

وتنهَّد بدوره ، قبل أن يتابع :

ـ إننى أشعر بتأنيب ضمير .. لقد لجأ إلىَّ فى البداية ، ولكننى استهنت بقلقه ومخاوفه .

غمغمت :

ـ أى شخص فى موضعك كان سيفعل هذا ..

ثم هزَّت رأسها ، مستطردة فى عصبية :

ـ الموقف كله عجيب للغاية ، وغريب على مجتمعنا وبيئتنا تمامًا .. إنه .. إنه أشبه بالأفلام الأمريكية !

انعقد حاجباه ، وهو يتمتم ، فى شىء من الشرود :

ـ نعم .. إنه كذلك !!

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز الأطباء من حجرة (عصام) ، فهرعت إليهم (نهلة) ، تسألهم فى لهفة :

ـ كيف حاله ؟

أجابها كبيرهم بابتسامة هادئة :

ـ بخير حال والحمد للّه (سبحانه وتعالى) .. من الواضح أن الانفجار لم يكن قويًا ، أو أنه كان يبعد عنه مسافة كافية .

غمغم العميد (عادل) ، وهو يندفع داخل حجرة (عصام) :

ـ المهم أنه بخير .

أدار (عصام) عينيه إليه فور دخوله ، وهتف محنقًا :

ـ مجرَّد عبث سخيف .. أليس كذلك ؟!

أجابه (عادل) فى حزم :

ـ أعترف أننى كنت مخطئًا .

صاح (عصام) فى غضب :

ـ خطأ كاد يكلفنى حياتى .

اندفعت خطيبته (نهلة) نحوه ، هاتفة فى حرارة :

ـ حمدًا للّه على أنك بخير .

التقيا بعاطفة غامرة ، جعلت العميد (عادل) يبتسم ، ويغمغم :

ـ كنت أظنهما متخاصمين ، فى الآونة الأخيرة .

ضحكت (نهلة) ، قائلة :

ـ هذا لا يدوم طويلاً فى المعتاد .

هزَّ (عادل) رأسه مؤيِّدًا ، قبل أن يشدّ قامته ، ويقول فى حزم :

ـ عظيمة هى العواطف والمشاعر ، ولكننى أحتاج إلى التحدُّث مع (عصام) وحدنا لبعض الوقت .

انعقد حاجبا (عصام) فى غضب ، وارتبكت (نهلة) ، متمتمة :

ـ احم .. على أية حال ، كان لابد أن أعود إلى مبنى التليفزيون ؛ لتصوير إحدى حلقات برنامجى الجديد .. حمدًا للّه على سلامتك يا (عصام) .. اتصل بى فور خروجك .. إلى اللقاء .

قالتها فى سرعة ، واندفعت تغادر الحجرة كلها ، فقال (عصام) فى حدة :

ـ كان هذا يفتقر إلى اللياقة كثيرًا .

أجابه العميد (عادل) فى صرامة :

ـ لا بأس .. لم أدَع أبدًا أننى رجل راق .. المهم أن نناقش مسألة أمنك أوَّلاً .

قال (عصام) فى حدة :

ـ بهذا الأسلوب السخيف .

أجابه (عادل) بنفس الصرامة :

ـ لو لم يكن هناك سواه .

ثم بدأ يتحرك فى الحجرة ، متابعًا فى حزم :

ـ الأمر لم يعد مجرَّد قضية شخصية ، لمهووس يسعى لتحطيمك أو قتلك .. لقد صارت قضية أمن عام ، عندما تجاوز حدوده ، ونسف سيارتك فى طريق عام ، معرِّضًا أمن وسلامة المارة للخطر .. وهذا يعنى أن نتولَّى نحن القضية بصفة رسمية .

سأله (عصام) مبهوتًا :

ـ ماذا تعنى بكلمة (نحن) هذه ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ المباحث العامة .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ سأسند المهمة إلى واحد من أفضل تلامذتى .. (عصمت) .. هل تعرفه ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. منذ قضية (التليفزيون) (*) .

قال العميد (عادل) :

ـ عظيم .. سيتولَّى هو جمع المعلومات ، والتحقيق فى الأمر ، فى حين سأعهد لأحد رجالنا بمهمة حراستك وحمايتك هنا ، حتى يسمح لك الأطباء بالعودة إلى منزلك .

غمغم (عصام) فى توتر :

ـ لا بأس .. لقد قرَّروا احتجازى ليوم واحد ، للاطمئنان على عدم وجود أية إصابات داخلية ، أو ارتجاجات غير واضحة بالمخ ، وهذا يعنى أننى أستطيع النوم على الأقل .

(*) راجع قصة (قضية انتحار مقاتل) .. القضية رقم (٤٩) .

أومأ العميد (عادل) برأسه ، قائلاً :

ـ بالطبع ، يمكنك النوم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ أما نحن ، فلست أعتقد أننا سنحظى بهذا .. لست أعتقد أبدًا .

* * *

« يمكنك أن تصف ذلك الرجل ، الذى أصلح سيارة الأستاذ (عصام) ، لزميلنا رسام الشرطة هذا .. »

نطق الرائد (عصمت) العبارة فى هدوء ، متحدثًا إلى بوّاب بناية (عماد) و (عُلا) ، الذى شهد الحادث ، فأجابه الرجل فى حماس :

ـ سأخبركم كل ما لدى يا سيادة الضابط .. الأستاذ (عصام) شاب فاضل كريم ، وسأبذل قصارى جهدى ، حتى ينال ذلك المجرم ، الذى حاول قتله ، جزاءه العادل .

وبكل حماسته هذه ، راح يصف الرجل لرسّام الشرطة ، الذى يحوّل كل الأوصاف إلى رسوم واضحة ، فى حين التفت (عصمت) إلى أحد رجاله ، متسائلاً :

ـ ماذا عن ضابط أمن الجريدة ؟!

أجابه الرجل :

ـ يقوم بالعمل نفسه ، مع الرسّام الآخر ، فى الحجرة المجاورة .

ثم هزّ رأسه ، متابعًا :

ـ والواقع أن هذا يثير حيرتى يا سيادة الرائد .. لماذا لم نكتف برسم صورة واحدة للمشتبه فيه ، ثم نعرضها على الجميع ؟!

أجابه (عصمت) فى حزم :

ـ حتى لا يتأثّر أحد الشهود بالرسم ، ويمنحنا معلومة خاطئة .. ثم إن رسمين أفضل من واحد ، خاصة وأننا سنحصل من كليهما على وصف افتراضى للمشتبه فيه .. أليس كذلك ؟!

غمغم الضابط فى إعجاب :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرائد .. بالتأكيد .

سأله (عصمت) :

ـ ماذا فعلتم بشأن بطاقة (هانى صابر) .

أجابه الضابط :

ـ البطاقة كانت لدى أسرة الراحل ، كجزء من

مقتنياته ، التى يحتفظون بها للذكرى ، ولكنها اختفت من المنزل على نحو ما .. لم تحدث أية سرقات ، وكل شىء فى موضعه ، فيما عدا تلك البطاقة .

انعقد حاجبا (عصمت) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! لماذا يسعى شخص ما للحصول على بطاقة تخص شخصًا ميتًا ؟! لماذا تمثل له أية أهمية ؟! لماذا ؟!

أجابه الضابط :

ـ ربما ترجع أهميتها إلى قدرتها على التأثير على الأستاذ (عصام) .

قال (عصمت) ، وعقله يعمل بكل طاقته :

ـ هناك ألف وسيلة ووسيلة للتأثير عليه ، دون الحاجة إلى هذه البطاقة بالذات .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يعتصر عقله أكثر وأكثر ، قبل أن يتابع فى حزم شديد :

ـ هناك أمر ما يخصّ ذلك الحادث بالذات .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ حادث الانفجار ؟!

هزّ (عصمت) رأسه ، مجيبًا :

ـ بل حادث غرق (هانى صابر) .

بدت الدهشة على وجه الضابط ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن قال رسّام الشرطة ، فى اللحظة نفسها :

ـ الرسم جاهز يا سيادة الرائد .

التفت إليه (عصمت) ، وهو يشير بيده للضابط ، قائلاً :

ـ احضر الرسم الآخر .

أسرع الضابط إلى الحجرة المجاورة ، لإحضار الرسم ، الذى صنعه رسّام الشرطة الثانى ، طبقًا للأوصاف التى أدلى بها ضابط أمن الجريدة ، فى حين التقط (عصمت) الرسم الثانى ، وراح يتأمّله مليًّا ..

كان وجه رجل ، فى منتصف الأربعينيات من عمره ، أصلع الرأس ، أسود القودين ، ناعمهما ، حليق الوجه ، تشف كل لمحة من ملامحه عن أنه ينتمى إلى أصل أجنبى ، وبخاصة لون عينيه الباهت ، الذى عجز البوّاب عن تحديده بدقة ..

وفى لهفة ، عاد الضابط بالرسم الثانى ، قائلاً :

ـ ها هو ذا .

التقط (عصمت) الرسم الثانى ، ووضعه إلى جوار الأول ، و ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

★ ★ ★

« لا يوجد أدنى تشابه بين الرجلين .. »

هتف (عصمت) بالعبارة فى توتر ، ولوّح بذراعه كلها ، وهو يتابع :

ـ أحدهما أصلع حليق ، فى منتصف الأربعينيات ، أجنبى الملامح ، والثانى شاب نحيل ، ذو شارب رفيع ، وشعر مجعّد قصير ، وكل شىء فيه مصرى مائة فى المائة .

سأله العميد (عادل) فى اهتمام :

ـ أيمكن أن يعنى هذا أننا أمام أكثر من قاتل ؟!

أشار (عصمت) بسبّابته ، قائلاً :

ـ احتمال وارد يا سيادة العميد ، والاحتمال الآخر أننا أمام شخص بالغ الذكاء ، يدير الأمور كلها من وراء الستار ، ويستأجر كل من يحتاج إليه ، فى كل مرحلة من مراحل لعبته .

انعقد حاجبا العميد (عادل) ، وهو يدرس ذلك الاحتمال فى ذهنه ، قبل أن يومئ برأسه ، مغمغمًا :

ـ افتراض منطقى .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن ما دمنا نواجه شخصًا يحتمل كونه أجنبيًا ، فالأفضل أن نستعين بالزملاء فى شرطة الجوازات .

وانتظر حتى سمع صوت محدثّه ، وقال فى حزم :

ـ مساء الخير .. العميد (عادل محمود) ، من مباحث أمن الدولة .. مرحبًا يا سيادة العميد (خالد) .. الواقع أننا ننشد تعاونكم ، فى قضية مهمة لدينا .. هناك رسم افتراضى لمشتبه فيه ، نتصوّر أنه أجنبى ، دخل إلى البلاد خلال شهر أو شهرين على الأكثر .

راحا يتبادلان الحديث ، فى حين جلس (عصمت) يتابعه ، وهو يعتصر عقله ، محاولاً فهم ذلك الغموض ، الذى يحيط بالموقف كله ..

(عصام كامل) صحفى شهير ، فى قسم الحوادث بجريدة معروفة ..

وهذا قد يجعله مستهدفًا ، من بعض المجرمين ورجال العصابات ..

ولكن ليس الأجانب ..

ليس هم بالتأكيد ..

ما الذى يعنيهم بشأنه ؟!

لماذا يسعون للانتقام منه ، أو حتى العبث بمخاوفه ؟!

لماذا ؟!

أخذ يراجع فى ذهنه كل ما قرأه ، فى ملف (عصام) ، بحثًا عن أية قضية ، واجه فيها مجرمًا أجنبيًا ، و ..

« سنرسل إليهم الرسم ؛ ليقارنوه بصور كل من وفد إلينا ، خلال الشهرين الماضيين .. »

قطع العميد (عادل) أفكاره بعبارته ، فرفع عينيه إليه ، مغمغمًا فى شرود :

ـ حقًا ؟!

ابتسم العميد (عادل) ، قائلاً :

ـ فيم تفكر ؟!

أشار (عصمت) بيده ، مجيبًا :

ـ كنت أحاول البحث عن شىء يربط بين (عصام) ، وأية محاولة انتقام أجنبية .

هزَّ (عادل) رأسه ، قائلاً :

ـ لقد حاولت قبلك ، ولم أجد علاقة مباشرة .

وشدَّ قامته ، مضيفًا فى حزم :

ـ ثم إننا لم نتيقَّن بعد من أنها محاولة أجنبية .. ربما كان ذلك الشخص يستعين بخبراء فحسب .

تنهَّد (عصمت) ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح إلى حد كبير يا سيادة العميد .. إنه يجيد توزيع الأدوار بمهارة مدهشة ، وكأنه واحد من أبرع مخرجينا .. لقد انتقى شابًا يشبه (هانى صابر) ، صديق (عصام) الراحل ، ليلعب دور الميت ، الذى عاد من قبره لينتقم ، و ..

قاطعه (عادل) فى دهشة :

ـ ينتقم ؟! ومم ينتقم ؟!

تطلَّع إليه (عصمت) ، قائلاً :

ـ ألا تعلم حقيقة الأمر يا سيادة العميد ؟!

عاد حاجبا (عادل) يلتقيان ، وهو يسأله :

ـ أى أمر ؟!

أجابه (عصمت) :

ـ أمر حادث غرق (هانى صابر) ، منذ عشر سنوات .. ألا تعلم حقًا ملابساته ؟!

أجابه (عادل) فى حدة هذه المرة :

ـ كلاً .. لست أعرف ملابساته .. ما الذى تعرفه عنه بالضبط ، ويمكن أن يفيدنا فى قضيتنا هذه ؟

ازدرد (عصمت) لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ الواقع أن الشاب كان فى رحلة نيلية ، مع مجموعة من أصدقائه ، عندما تعرَّضت المركبة إلى هزة مفاجئة ، فارتطم به أحد أصدقائه ، مما أفقده توازنه ، فسقط فى النيل ، وقبل أن يقفز أحدهم خلفه ، كان قد اختفى فى القاع كالحجر .. لقد بحثوا عنه لربع ساعة ، قبل أن يكشفوا أنه انحشر فى دفة المركبة ، واختنق تحتها ، حتى لقى مصرعه .

تطلَّع إليه (عادل) فى تساؤل ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ وما شأن كل هذا بالانتقام ؟!

تنحنح (عصمت) فى حرج ، قبل أن يجيب :

ـ حسن .. ذلك الصديق ، الذى ارتطم به ، وتسبَّب فى غرقه ، كان الأستاذ (عصام) .. (عصام كامل) .

واتسعت عينا العميد (عادل) عن آخرهما ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة هادئة ، على شفتى الطبيب الجديد ، وهو يشير إلى الضابط ، الذى يتولَّى حراسة (عصام) ، قائلاً :

ـ كيف حاله الآن ؟!

ابتسم الضابط ، قائلاً :

ـ المفترض أن ألقى أنا هذا السؤال .

ضحك الطبيب ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ، ولكننى لم أشأ أن أفقد فرصة إلقائه مرة .

ثم اتجه نحو (عصام) ، وأمسك معصمه ، مستطردًا :

ـ ولكنه بخير حال ، حسبما يبدو من جدول متابعته .. النبض سليم ، ومعدَّل التنفُّس منتظم ..

وأخرج من جيبه محقنًا صغيرًا ، وهو يضيف :

ـ كل ما يحتاج إليه هو عقار مهدِّئ بسيط .

زمجر (عصام) فى حنق ، قائلاً :

ـ إننى أكره العقاقير المهدِّئة .

ابتسم الطبيب ، وهو يكشف ذراعه ، قائلاً :

ـ كلنا هذا الرجل ، ولكن للضرورة أحكام .

قالها ، وغرس إبرة المحقن فى ذراع (عصام) ، الذى أطلق آهة ألم ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ رويدك يا رجل .. لست مجرَّد وسادة تدريب ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى عينى الطبيب مباشرة ..

كانت أوّل مرة يلقى فيها نظرة عليه ، منذ دلف إلى حجرته ..

ولم يكن قد رآه من قبل قط ..

أو يعلم هويته الحقيقية ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد ارتجفت كل ذرة فى كيانه ، عندما وقعت عيناه على عينيه .. أو بمعنى أدق ، عندما رأى تلك الالتماعة الساخرة فيهما ..

التماعة شخص يحمل فى أعماقه مزيجًا عجيبًا ، من العبث والوحشية ..

وبلا حدود ..

وفى نفس اللحظة ، ضغط الرجل محقنه ..

واندفع العقار ، أيًا كانت طبيعته ، فى عروق (عصام) ، الذى جذب ذراعه فى عنف ، صائحًا :

ـ أنت لست طبيبًا .

تألّقت عينا الرجل ، وانتقلت سخريته إلى ابتسامته وصوته ، وهو يقول :

ـ بالطبع لست كذلك .

وفى نفس اللحظة ، ضغط الرجل محقنه .. واندفع العقار ، أيًا كانت طبيعتَه ، فى عروق (عصام) ..

قالها ، وهوى بقبضته على فك (عصام) ، ثم استدار يواجه ضابط المباحث ، الذى أخذته المفاجأة ، وأسرع بجذب مسدسه ، هاتفًا :

ـ رباه ! أهو ليس ..

قبل أن يتم عبارته ، أو يكمل سحب مسدسه ، وثب الطبيب الزائف نحوه ، فى خفة مدهشة ، وركل المسدس من يده ، ثم دار حول نفسه ، ليركله فى فكه مباشرة ..

ومع تراجع الضابط ، انقضَّ عليه الرجل ثانية ، وكال له لكمتين متعاقبتين سريعتين ، فارتطم بالجدار فى عنف ، ثم سقط فاقد الوعى ..

وفى هدوء عجيب ، تراجع الطبيب الزائف ، وألقى نظرة على (عصام) الفاقد الوعى بدوره ، قبل أن يغمغم فى سخرية :

ـ يبدو أن اللعبة تزداد إمتاعًا ، فى كل لحظة .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، ثم ضغط جرس استدعاء الطوارئ ، وألقى نظرة أخرى على (عصام) والضابط ، قبل أن يغادر المكان ..

وبكل هدوء .

★ ★ ★

٣ ـ العبث ..

التقى حاجبا الرائد (عصمت) فى شدة ، وهو يستمع إلى الضابط المسئول عن حماية (عصام) ، والذى انتهى الأطباء من تضميد إصاباته ، وهو يقول فى عصبية :

ـ إنه ليس شخصًا عاديًا بالتأكيد .. لقد تحرَّك فى سرعة وخفة مدهشتين ، وهاجمنى قبل أن أفيق من أثر المفاجأة ، وكل انقضاضاته ولكماته كانت لمحترف ، وليس لهاوٍ عادى .

غمغم (عصمت) فى توتر :

ـ محترف ؟! ما تتحدَّث عنه يا رجل ليس عمل محترف عادى .. إنه رجل تلقَّى تدريبات طويلة ومكثفة ، على أيدى خبراء ، تحت نظام متقن .

وشرد بصره ، وهو يضيف :

ـ وهذا يقودنى إلى التفكير فى أمور أكثر خطورة .

قلب الضابط كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا يفعل كل هذا ؟! لماذا المجازفة على هذا النحو ، على الرغم من أنه لم يحقن (عصام) سوى بماء مقطر عادى ، كما قال الأطباء ؟!

عضَّ (عصمت) شفتيه فى غيظ ، وهو يغمغم :

ـ مجرَّد إثبات أنه كان قادرًا على قتله بعقار سام لو أراد .

هزَّ الضابط رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لم أر فى حياتى كلها شيئًا كهذا .

أجابه (عصمت) :

ـ وأنا أيضًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ أعتقد أننى أحتاج إلى التحدُّث مع الأستاذ (عصام) .

قالها ، واتجه نحو حجرة (عصام) ، ولم يكد يدخلها ، حتى انعقد حاجباه فى توتر أكثر ، عندما رأى هذا الأخير يرتدى ثيابه ، وقال فى صرامة :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (عصام) فى حدة :

ـ إلى منزلى .. لقد سئمت البقاء هنا ..

ثم أضاف فى غضب عصبى :

ـ ثم إن الخطر هنا وهناك .. أليس كذلك ؟!

تجاهل (عصمت) السؤال الأخير ، وهو يقول :

ـ الأطباء لم يسمحوا برحيلك بعد .

هتف (عصام) :

ـ الأطباء لا شأن لهم بأمورى .. لن أجازف بحياتى ، لمجرَّد أنهم يشكُّون فى بعض السخافات .

تطلَّع إليه (عصمت) فى صمت ، وهو يرتدى ثيابه فى عصبية بالغة ، قبل أن يسأله بغتة ، بلا مقدمات :

ـ لماذا تتصرَّف بكل هذه العصبية يا أستاذ (عصام) ؟!

أجابه (عصام) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ هل يبدو لك كل هذا أمرًا يدعو للهدوء ؟!

ابتسم (عصمت) ، وهو يقول فى بطء :

ـ بالنسبة لشخص مثلك ، لا ينبغى أن يدعو لكل هذه العصبية أيضًا .

ثم استعاد صرامته بغتة ، وهو يضيف :

ـ أم أن كل هذا بسبب حادث مصرع (هانى) .

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، دون أن يعلّق ، فأكمل (عصمت) :

ـ الذى تسببت فيه .

استدار إليه (عصام) بحركة حادة ، وهو يصيح :

ـ كان مجرَّد خطأ غير مقصود .

ثم ترك جسده يسقط جالسًا على حافة فراشه ، وهو يضيف بصوت يدعو إلى الرثاء :

ـ المركبة اهتزَّت بغتة ، و ... ، و ...

ارتجفت شفتاه فى شدة ، وعجز عن إتمام عبارته ، فاتجه إليه (عصمت) ، وربَّت على كتفه ، قائلاً فى تعاطف ، لم يحاول إخفاءه :

ـ أعلم أنه خطأ غير مقصود .. لقد أردت إخراجك من عصبيتك البالغة هذه بأسلوب الصدمة ، الذى يستخدمه الأطباء النفسانيون .. وأعتقد أننى قد نجحت فى هذا .

هزَّ (عصام) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا الحادث يعذّبنى ، منذ لقى (هانى) المسكين مصرعه .

أجابه (عصت) فى حزم :

ـ أنت قلتها .. كان مجرَّد خطأ غير مقصود .. الكل أدرك هذا واستوعبه ، باستثنائك وحدك .. حتى والدى (هانى) لم يوجِّها إليك أية اتهامات ، ولا حتى فى أعماقهما .

غمغم (عصام) فى مرارة :

ـ من أدراك ؟!

أجابه (عصمت) فى حزم :

ـ الارتياع الذى أصابهما ، عندما علما ما تعرَّضت له ..

حدَّق (عصام) فى وجهه ذاهلاً ، فتابع بنفس الحزم :

ـ الأبوان اللذان يتهمان شخصًا ما بقتل ابنهما الوحيد ، لن تقلقهما أية إصابة يتعرَّض لها ، وإنما سيسعدهما هذا .

ثم عاد يربِّت على كتفه ، مستطردًا :

ـ ما لمسته منهما ، هو أنهما يعتبرانك امتدادًا لابنهما ، خاصة وأنك تداوم الاتصال بهما ، والاطمئنان على أحوالهما ، من آن لآخر .

هتف به (عصام) مبهورًا :

ـ كيف علمت كل هذا ؟!

أشار (عصمت) بيده ، قائلاً :

ـ كنت أحتاج بالضرورة إلى صورة من صور (هاتى) ، لمقارنتها بالمشتبه فيهما ، ثم إننى كنت أرغب فى بحث كيفية اختفاء بطاقته من المنزل ، وكان من الطبيعى أن أذهب لزيارتهما .

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ لم أتصوَّر قط أنهما ..

قاطعه (عصمت) ، وكأنما يحاول تغيير دفة الموضوع :

ـ البحث الدقيق أكَّد حدوث واقعة سرقة خفية ، استهدفت بطاقة صديقك الراحل وحدها ، فقد عثرت على آثار استخدام أداة معدنية رفيعة ، لفتح دولاب حجرة الوالدين ، والصندوق الذى كان يحوى مقتنيات الراحل .. ولقد تم هذا بدقة مدهشة ، حتى لا يدرك أحد حدوث واقعة السرقة ، وهذا يقودنا مرة أخرى إلى أن الذى ، أو الذين يقومون بهذا الأمر ، هم حتمًا من المحترفين .

تضاعفت دهشة (عصام) وحيرته ، وهو يتمتم :

ـ ولماذا يسعى المحترفون خلفى ؟!

تنهَّد (عصمت) ، قائلاً :

ـ هذا ما أبذل قصارى جهدى لفهمه .

ثم التقط من جيبه صورتين ، ناولهما لـ (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام .

ـ بالمناسبة .. أى هذين الرجلين كان ينتحل شخصية الطبيب هنا ؟!

تطلَّع (عصام) فى اهتمام إلى صورتى الرسمين ، اللذين أنجزهما رساما الشرطة ، ونقل بصره بينهما بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، ويقول فى حزم حاسم للغاية :

ـ لا هذا ولا ذاك .

هتف به (عصمت) :

ـ أأنت واثق ؟!

أجابه (عصام) بنفس الحسم :

ـ تمام الثقة .. لقد كان رجلاً أشيب الشعر ، طويل السالفين ، أزرق العينين ، و ..

انعقد حاجبا (عصمت) ، وهو يقاطعه ، قائلاً فى حزم :

- مهلاً .. هل يمكنك أن تلقى نظرة أخرى على الرسمين ؟!

أجابه (عصام) فى حيرة :

- بالتأكيد .. ولكن لماذا ؟!

أجابه (عصمت) ، وهو يعيد وضع الصورتين أمام عينيه :

- لدى فكرة مجنونة .

تطلَّع (عصام) إلى الصورتين مرة أخرى ، قبل أن يتساءل :

- ما الذى تريده بالضبط ؟!

سأله (عصمت) فى اهتمام :

- قل لى : أيهما أقرب شبهًا للرجل ، الذى انتحل شخصية الطبيب ؟!

التقى حاجبا (عصام) بعض الوقت ، وهو ينقل بصره بين الصورتين ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً فى توتر :

- الثلاثة يبدون مختلفين ، بعضهم عن البعض .. ولكن العينين ..

سأله (عصمت) فى لهفة :

- هل ترى تشابهًا فى شكل العينين ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد .

سأله (عصمت) بلهفة أكثر :

- أيهما .

تطلَّع (عصام) إلى الصورتين مرة أخرى ، واعتصر ذهنه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- كلاهما .

قفز حاجبا (عصمت) إلى ذروتهما ، مع ذلك الجواب ، ثم أدار الصورتين إليه فى حركة حادة ، وحدَّق فيهما معًا ، قبل أن يهتف :

- ربَّاه ! أتعنى أن العيون كلها متشابهة ؟!

أجاب (عصام) ، فى حزم وثقة أكبر :

- بل أعنى أن كلها لشخص واحد .

وكان جوابه هو المفاجأة ..

بعينها ..

* * *

انطلقت ضحكة عابثة عالية ، من بين شفتى ذلك القاتل المجهول ، وهو يتراجع فى مقعده الوثير ، داخل شقته الفاخرة ، ويقول عبر الهاتف :

– أراهنك على أنهم يضربون أخماسًا فى أسداس الآن ، ويحاولون عبثًا فهم الهدف ، من ذلك العبث ، الذى نقوم به مع الصحفى .

أتاه صوت محدثّه ، عبر مكالمة دولية بعيدة :

– المهم أن تستمر حيرتهم هذه ، حتى تحين لحظة الضربة الحقيقية .

قهقه القاتل مرة أخرى ، قائلاً :

– ستستمر يا صديقى .. ستستمر ؛ لأنهم يجهلون الهدف الحقيقى ، وينشغلون بالبحث عن منطق يبرِّر مهاجمة الهدف الخداعى ، وهذا سيجعلهم يقعون فى قبضتنا بمنتهى اليسر ، عندما تحين اللحظة المنشودة .

قال محدثّه فى حزم :

– عظيم .. ولكن لا تسرف فى الثقة ولا تتحرّك باستهتارك المعهود ، حتى ولو تصوَّرت نفسك أفضل الجميع .. اتخذ الحيطة والحذر اللازمين ، حتى لا تفشل الخطة ، قبل لحظة الصفر .

أجابه القاتل بمنتهى الثقة :

– اطمئن .. اطمئن تمامًا يا صديقى .. إنهم يبحثون عن شخص أجنبى الملامح ، دون أن يدركوا أننى

مصرى المولد ، حتى وإن عشتُ معظم حياتى خارج (مصر) .. براعتى فى التنكّر خدعتهم حتمًا ، وستتضاعف حيرتهم ، وهم يسعون خلف صور وهمية ، لا وجود لها قط .

قالها ، وعاد يقهقه فى ظفر مزهوّ ، فأجابه محدثّه فى صرامة :

– فليكن يا رجل .. لقد حذَّرتك ، فلو فشلت العملية ، بعد كل ما فعلناه وأنفقناه ، لن تكون هناك جدوى من محاولة إقناع السادة بعدم القضاء عليك ، بمنتهى العنف والقسوة .. أنت تدرك جزاء الفشل فى عالمنا .

انعقد حاجبا القاتل ، وهو يقول فى حدة :

– نعم .. أدركه .

ثم أضاف فى غضب :

– ولن يكون لى أى شأن به .. هذا لأننى – كما تعلمون – لا أفشل أبدًا .

أجابه محدثّه ، فى صرامة مقتضبة :

– نتعشَّم هذا .

ثم أنهى المحادثة ، مع آخر حرف من كلماته ، فمطَّ القاتل شفتيه ، وأعاد سمَّاعة الهاتف إلى موضعها ، مغمغمًا :

- يا للأوغاد !

ثم أخرج مسدسه ، وجذب مشطه ، وتركه يرتد بصوته المعدنى الرنان ، قبل أن ينهض ، ويتطلع إلى صورة الهدف الحقيقى للعملية ، مغمغمًا فى سخرية :

- يبدو أن المفاجأة ستكون شاملة ، بالنسبة لك أيها البطل .

قالها ، وانطلق يقهقه فى سخرية ، وهو يبعد الصورة عن بصره ..

صورة المستهدف الحقيقى للعملية كلها ..

والذى لم يكن حتى يشبه (عصام كامل) ..

على الإطلاق ..

* * *

تحركت أصابع خبير الشرطة فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول فى اهتمام وحماسة :

- الخطأ الذى ارتكبتموه أيها السادة هو أنكم لم تقدِّروا التطور المدهش ، فى جهاز الشرطة المصرى ، فمع احترامى الشديد لكفاءة رسامى الوجوه ، إلا أن برامج الكمبيوتر قد تفوَّقت عليهم كثيرًا . فى هذا

المضمار ، وهنا سنعيد بناء ملامح المشتبه فيهم ، من خلال الكمبيوتر ، وستجدون أن الأمر أسرع وأفضل بكثير .

كانت أصابعه تتعامل مع الموقف بسرعة وإتقان ، حتى إن الصور الثلاث قد تكوَّنت على نحو أفضل بالفعل ، والخبير يقول :

- الصورتان الأساسيتان واضحتان ، ولكن ماذا عن الثالثة ؟! أهذا هو نفس الشخص ، الذى حقنك فى المستشفى يا أستاذ (عصام) ؟!

أجابه (عصام) فى انبهار :

- بالضبط .

ابتسم خبير الشرطة ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر مرة أخرى ، قائلاً :

- راقبوا معى إذن أعمال الحواة هذه .

وبضغطة أخيرة ، راحت الوجوه الثلاثة تتداخل ، وتتغيَّر من واحد إلى آخر ، فى سلاسة مدهشة ، جعلت (عصمت) يغمغم :

- هذا صحيح إذن .

وأشار إلى الشاشة ، مستطردًا :

- إننا أمام محترف ، بدرجة لم نتصوَّرها قط فى البداية .. محترف يجيد عددًا مدهشًا من المهارات ، فهو يقاتل كمصارع ، ويتحرَّك بثقة وجرأة ، ويجيد التنكُّر على نحو فائق .

غمغم (عصام) :

- هذا كله لا يمكن أن يتوافر لقاتل محترف .

أجابه (عصمت) :

- من قال هذا ؟!

قال (عصام) مستنكرًا :

- أتتصوَّر قاتلاً محترفًا ، يفعل كل هذا ، ويجيد كل هذه المهارات ، ليمارس مهنة قذرة كهذه فحسب ؟!

قاده (عصمت) خارج قاعة الكمبيوتر ، وهو يقول :

- ما دامت مهنة تدرّ دخلاً ضخمًا ، فلا يمكنك أن تستبعد المنافسة العنيفة على التفوّق فيها ، ومحاولة كل قاتل أن يكتسب أكبر قدر من المهارات ؛ ليصبح الأفضل ، والأغلى سعرًا فى عالمه .

هزَّ (عصام) رأسه ، قائلاً فى توتر :

- إنه عالم لن يمكننى فهمه قط .

أجابه (عصمت) :

- ولكن ينبغى أن تعتاده ؛ لأنه موجود حولنا ، شئنا أم أبينا .

بلغا مكتب العميد (عادل) ، وهما يتحدثان عن الأمر ، وما إن رآهما هذا الأخير ، حتى سأل (عصمت) فى اهتمام :

- أهو نفس الرجل ؟!

أومأ (عصمت) برأسه إيجابًا ، وقال :

- خبير الكمبيوتر سيصنع كل الوجوه المحتملة لهيئته الحقيقية ، حتى يمكننا التحرّى عن أمره .

نهض (عادل) من خلف مكتبه ، وراح يتحرَّك فى حجرته فى توتر ، وهو يقول :

- دعونا نجمع كل ما لدينا من معلومات عنه .. إنه محترف .. يجيد مهارات شتى ، على نحو يوحى بأنه قد تلقّى تدريبات مكثفة ، فى جهة ما ، وهو يتحدَّث العربية باللهجة المصرية ، دون أن يشك مخلوق واحد فى أمره ، وهذا يعنى أنه مصرى المولد ، بغض النظر عن الدولة التى أتى منها .

تساءل (عصام) فى حيرة :

– ولماذا لا نفترض أنه مصرى قلبًا وقالبًا ، ويعيش هنا بالفعل .

أجابه (عادل) :

– لأن محترفًا مثله لم يبدأ حياته المهنية بالسعى خلفك .. لقد اكتسب مهاراته هذه من خلال مواجهات شتى ، وخبرات عديدة ، ولا يمكن أن يفعل هذا ، دون أن ندرك وجوده على الأقل ، إلا إذا كان قد اكتسب كل مهاراته خارج البلاد .

تدخّل (عصمت) متسائلاً :

– ولكن لماذا يتصرّف محترف مثله كهاوٍ عابث ؟!

أجاب (عصام) :

– نوع من الزهو بقدراته .

هزّ (عصمت) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

– هذه ليست سمة المحترفين .. المحترف الحقيقى يسعى لإنجاز عمله فحسب ، دون زهو أو عبث .

اتعقد حاجبا (عادل) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إلى (عصمت) ، قبل أن يقول فى حزم شديد :

– دعونا لا نتسرّع فى الاستنتاجات ، قبل أن نجمع كل الأدلة والمعلومات الممكنة .

ثم عاد خلف مكتبه ، مستطردًا :

– أجر اتصالك برجال الإنتربول(*) ، وتحرّ عن قاتل دولى محترف ، من أصل مصرى ، يميل إلى العبث والزهو بعمله ، واحصل على كل الصور الافتراضية ، التى سيصنعها خبير الكمبيوتر ، وأرسلها إلى العميد (خالد) ، فى شرطة الجوازات ، واطلب منه البحث عن أى شخص ، يشبه أية صورة من الصور الافتراضية ، واتصل بالمباحث الجنائية ، واطلب منهم صنع قائمة بأسماء كل الأجانب ، الذين يستأجرون الشقق المفروشة ، أو يقيمون لدى آخرين ، أو فى شقق مملوكة لأفراد أو جهات أجنبية .

واتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

– أريد محاصرة ذلك الوغد ، من كل ناحية ،

(*) الإنتربول : أو (منظمة الشرطة الدولية لمكافحة الجريمة) (International Criminal Police Organization) هيئة مساعدة لنظم الشرطة ، أنشئت عام ١٩٢٣ م ، وبلغ عدد الدول المشاركة فيها ما يزيد على مائة وستين دولة حتى لحظة كتابة هذه السطور ، وعلى الرغم من أنه هناك طاقم خاص بالإنتربول ، إلا أن مسئولية التعقب وإلقاء القبض ، منوطة بنظم الشرطة المحلية للدول الأعضاء .

وتضييق الخناق عليه ، حتى لا يجد متسعًا لالتقاط أنفاسه هنا .

غمغم (عصام) فى عصبية :

ـ المهم ألا يجد متسعًا من الوقت لقتلى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دقّ حارس مكتب العميد (علاء) الباب ، فهتف الأخير :

ـ ادخل .

دفع الرجل الباب ، وأدّى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ هناك شيخ يطلب مقابلتك شخصيًا يا سيادة العميد ، ويرفض فى إصرار المرور على مدير مكتبك .

سأله (عادل) فى اهتمام عصبى :

ـ أى شيخ هذا ؟!

اتجه الحارس نحوه ، وناوله بطاقة صغيرة ، وهو يقول :

ـ يقول : إنك ستتعرّف بطاقته ، وأن الأمر يهم سيادتك كثيرًا .

التقط (عادل) البطاقة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى هبَّ من مقعده ، صائحًا فى انفعال عنيف :

ـ رباه ! .. إنه هو ؟!

ثم استلّ مسدسه ، صائحًا فى (عصمت) :

ـ إنه هو .

وثب (عصمت) من مكانه ، ودفع الحارس المندهش جانبًا ، وهو يندفع خارج الحجرة ، فى حين هتف (عصام) فى عصبية :

ـ ماذا حدث ؟!

ألقى إليه العميد (عادل) البطاقة ، هاتفًا :

ـ هذا الوغد .

التقط (عصام) البطاقة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى انتفض جسده كله فى عنف ..

فالبطاقة كانت تحمل كلمة واحدة ..

(الطاووس) ..

وفوقها ، كان هناك ذلك الرسم المستفز ..

رسم ذيل (الطاووس) ، المفرود بألوانه الزاهية ، فى زهو وخيلاء ..

وقبل أن تنفرج شفتا (عصام) ، لينطق بحرف واحد ، اندفع (عصمت) داخل الحجرة ، وهو يهتف بالحارس ، الذى ارتبك بشدة :

ـ أين ذلك الشيخ ؟!

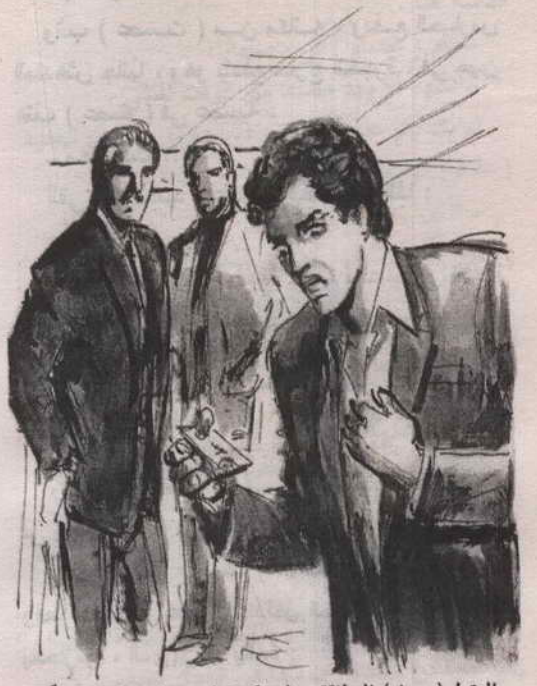

التقط (عصام) البطاقة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتّى انتفض جسده كله فى عنف ..

- هتف به الحارس :

- كان يقف بالخارج ، و..

لم ينتظر (عادل) ليتمّ الرجل حديثه ، وإنما اختطف سمّاعة هاتفه الداخلى ، وهو يهتف فى انفعال :

- أغلقوا أبواب المبنى .. لا تسمحوا لأى مخلوق بالدخول أو الخروج ..

أريد حصر كل غريب فى المكان ، وفحص وتفتيش واستجواب الجميع بلا استثناء .

اندفع (عصمت) خارج المكان ، وراح يقفز فى درجات السلم قفزًا ، وهو يهتف :

- أغلقوا الأبواب .. حالة طوارئ داخلية .

انطلق الجميع يعملون فى سرعة ودقة ، طبقًا لنظم حالات الطوارئ الداخلية ، فأغلقت أبواب المبنى كلها ، وتم احتجاز كل شخص داخله ، لاينتمى لهيئة الشرطة ، وبدأت عملية فحص وتفتيش سريعة ، و ..

وخارج المبنى ، شعر المارة بحدوث أمر غير عادى ، وتساءل أحدهم فى قلق :

- ماذا يحدث ؟!

أجابه رجل وقور فى هدوء :

- إجراءات تدريب داخلى بكل تأكيد ..

قالها ، وسار مبتعدًا بنفس الوقار والهدوء ، وشفتاه تحملان ابتسامة ساخرة ، تمتزج بنظرة الزهو الظافر فى عينيه ..

نظرة جعلته أشبه بـ ..

بالطاووس .

★ ★ ★

٤ - مـن ؟!

ارتسم الغضب بكل ملامحه ، على وجه وزير الداخلية ، وهو يدق سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

- فضيحة .. فضيحة بكل المقاييس .. قاتل محترف ، يصل إلى مبنى مباحث أمن الدولة ، ويترك بطاقته لنائب مديرها ، ثم يغادر المكان بكل بساطة ، دون أن نظفر به .. كيف يمكن تفسير أمر كهذا ؟!

كان الوزير يتوقَّع اعتذارًا ، أو حتى محاولة تبرير ، لذا فقد فاجأه جواب العميد (عادل) ، وهو يقول فى حزم :

- إنه يسخر منا .

تراجع الوزير فى مقعده بدهشة بالغة ، قائلاً :

- ماذا ؟!

كرَّر (عادل) بنفس الحزم :

- إنه يسخر منا .. عمله خارج البلاد منحه الكثير من الزهو والثقة بالنفس ، كما جعله يتصوَّر أن جهاز الشرطة لدينا أضعف من أن يواجه شخصًا جريئًا جسورًا مثله ، وهذا ما دفعه إلى تحدينا على هذا النحو .

حدّق الوزير فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يستعيد غضبه ، وهو يقول فى حدة :

ـ هل تدرك معنى ما تقوله ؟!

أجابه (عادل) فى سرعة :

ـ بالطبع يا سيادة الوزير ، فمعناه أنه من الضرورى أن نثبت لذلك الوغد أنه مخطئ فى كل تصوراته ، وأن الشرطة المصرية أفضل وأكثر براعة مما يتصوّر ويتوقع .

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

ـ مع رجل كهذا ، لاتصلح الشرطة وحدها أيها العميد .

ثم التقط سمّاعة هاتفه ، مستطردًا فى حزم :

ـ سأطلب الاستعانة بالمخابرات العامة ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وعلى الرغم من كل ما يتجاوزه هذا ، من أصول اللياقة ، وقواعد التعامل بين الرتب المختلفة ، فى كل التنظيمات العسكرية ، اندفع العميد (عادل) يمسك يد الوزير ، قائلاً :

ـ ليس بهذه السرعة .

حدّق الوزير فيه مستنكرًا ومندهشًا ، فاعتدل ، متابعًا فى توتر :

ـ الأمر لم يخرج من بين أيدينا بعد .

أعاد الوزير السمّاعة إلى موضعها ، وهو يقول فى غضب :

ـ وهل تُفضّل أن ننتظر ، حتى تتحوّل الفضيحة إلى كارثة ؟!

أجابه (عادل) فى حسم :

ـ بل أُفضّل أن أنتظر ، حتى يقع ذلك الوغد فى قبضتنا .

قال الوزير فى عصبية :

ـ لقد عجزتم عن الإيقاع به ، حتى هذه اللحظة .

أجاب (عادل) فى سرعة :

ـ ولكن هذا لن يستمر طويلاً .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا فى صرامة :

ـ سأوقع به ، خلال أربع وعشرين ساعة فحسب .

اتسعت عينا الوزير لحظة فى دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى غضب صارم ، وهو يقول :

ـ لاتقطع على نفسك وعودًا ، تعجز عن تنفيذها أيها العميد .

كرّر (عادل) فى حزم أكبر :

ـ أربع وعشرون ساعة يا سيادة الوزير .

تطلّع إليه الوزير بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ فليكن أيها العميد .. أربع وعشرون ساعة فحسب ، ثم أحيل الأمر برمته إلى جهة أعلى .

أجاب (عادل) فى حسم :

ـ اتفقنا .

لم تكن عبارته تتمشّى أو تتفق مع النظام الرسمى أيضًا ، إلا أنها كانت آخر عبارة تبادلاها ..

وبعدها انطلق العميد (عادل محمود) لتنفيذ وعده .

ومهمته ..

★ ★ ★

حدّق (عصام) فى وجه العميد (عادل) بدهشة بالغة لدقيقة كاملة ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ أعتقد أنك قد تسرّعت كثيرًا يا سيادة العميد .

أشار إليه (عادل) بيده ، قائلاً :

ـ لا تشغل نفسك بهذا يا (عصام) .. هيا .. عد إلى منزلك ، وسيرافقك اثنان من ضباطنا لحمايتك ، و ..

قاطعه (عصام) فى عصبية :

ـ لست أعتقد أن الأربع والعشرين ساعة تكفى ، لحسم أمر كهذا .

انعقد حاجبا (عادل) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ قلت : عد إلى منزلك يا (عصام) .. إنها مشكلتى أنا .

هتف (عصام) :

ـ وماذا عن حياتى ؟!

صمت (عادل) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم واقتضاب :

ـ اطمئن .

انفرجت شفتا (عصام) ، لينطق شيئًا ما ، إلا أن تلك النظرة الصارمة ، المطلّة من عينى العميد (عادل) جعلته يعود ليطبقهما ، وهو يغمغم :

ـ فليكن .

ثم نهض ، مضيفًا فى توتر :

ـ من الضرورى حقًا أن أحصل على قدر من النوم والراحة ، فلدى عمل كثير لم يتمّ إنجازه فى الجريدة .

قالها ، وغادر مكتب العميد (عادل) ، الذى أشار إلى اثنين من ضباطه الأكفاء ، قائلاً بلهجة حازمة :

ـ ابذلا حياتكما لو اقتضى الأمر ، ولكن لا تدعا ذلك الوغد يمس شعرة واحدة منه .

أجابه أحدهما ، وهما يلحقان بـ (عصام) :

ـ اطمئن يا سيادة العميد .

وما إن غادر الجميع الحجرة ، حتى هرش (عصمت) رأسه فى حرج ، قائلاً :

ـ أعتقد أن (عصام) على حق يا سيادة العميد .

قال (عادل) ، وهو يستقر خلف مكتبه :

ـ أننى تسرَّعت .. أليس كذلك ؟!

هزَّ (عصمت) رأسه ، دون أن يجيب ، فقال (عادل) فى حزم :

ـ قل لى يا (عصمت) : ما أكثر ما يثير حيرتك ، فى هذه القضية كلها ؟

تردَّد (عصمت) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ الدافع .

أشار إليه العميد (عادل) ، هاتفًا :

ـ بالضبط .. أكثر ما يثير حيرتنا جميعًا هو الدافع .. لماذا يأتى قاتل محترف من خارج البلاد ، بكل هذه المهارات ، ليطارد صحفيًا مصريًا ؟! من يمكنه

استئجار شخص كهذا ، لتنفيذ مهمة محدودة إلى هذا الحد ؟! ثم لماذا العبث وإضاعة الوقت ، ما لم ..

بتر عبارته بغتة ، فسأله (عصمت) فى لهفة :

ـ ما لم ماذا ؟!

شرد العميد (عادل محمود) ببصره لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ ما لم يكن هذا مقصودًا .

هتف (عصمت) :

ـ إنه كذلك بالتأكيد ولكن السؤال يبقى كما هو .. لماذا ؟!

أجابه العميد (عادل) فى حزم أكبر :

ـ بل السؤال هو من ؟!

قال (عصمت) فى حماس :

ـ لماذا تقودنا دائمًا إلى من .

قال العميد (عادل) :

ـ والعكس بالعكس .

ران عليهما الصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول (عصمت) :

ـ سيادة العميد .. أنت تبدو مرهقًا للغاية .. لماذا لا تعود إلى منزلك ، وتحظى ببعض النوم ، ثم ..

قاطعه (عادل) فى عصبية :

ـ لا وقت للنوم يا (عصمت) .. لقد وعدت سيادة الوزير بحسم الموقف ، خلال أربع وعشرين ساعة ، والوقت لا يكفى للعمل والنوم معًا .

حاول (عصمت) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ مظهرك يؤكد أنك بحاجة إلى النوم ، ولو لساعة واحدة .

أشار (عادل) إلى الأريكة فى مكتبه ، مجيبًا :

ـ سأنام هنا .

هزّ (عصمت) رأسه ، قائلاً :

ـ قد يريحك هذا ، ويعيد إليك ذرة من النشاط ، ولكن طاقم الحراسة المحيط بك ، والذى تحتم عليه ضرورة عمله ألا يفارقك لحظة واحدة ، يحتاج أيضًا إلى بعض الراحة .

انعقد حاجبا العميد (عادل) فى شدة ، على نحو جعل (عصمت) يسأله فى قلق :

ـ هل أغضبتك كلماتى يا سيادة العميد ؟!

لثوان ، بدا له أن (عادل) لم يسمعه ، وهو مستغرق فى تفكير عميق ، قبل أن يلتفت إليه فى شرود ، مغمغمًا :

ـ مطلقًا .

ثم عاد يشدّ قامته ، ويعتدل فى اعتداد ، وهو يضيف ، بلهجة استعادت كل حزم الدنيا :

ـ ولكن يبدو أننا نسير فى اتجاه خاطئ .. نفس الاتجاه الذى أرادنا ذلك الوغد أن نمضى إليه .

سأله (عصمت) ، فى توتر حذر :

ـ ماذا تعنى يا سيادة العميد ؟!

أشار (عادل) بيده ، مجيبًا :

ـ أعنى أنه ينبغى أن نعدّل مسار القضية كلها يا (عصمت) .

نطقها بصوت حمل قدرًا هائلاً من الحزم .. ومن الغموض ..

★ ★ ★

ارتفع رنين الهاتف فى منزل (عصام) ، مع دقات منتصف الليل تمامًا ، فوثب من فراشه ، فى انزعاج شديد ، وقبل أن تمتدّ يده إلى سمّاعة الهاتف ، اندفع أحد ضابطى المباحث إلى حجرته ، هاتفًا فى حزم :

ـ انتظر .

ثم اندفع نحو هاتف إضافى ، فى ركن الحجرة ، وهو يضيف :

ـ سنرفع السماعتين معًا ، فى آن واحد .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. هيا .

التقط كلاهما سمّاعة الهاتف ، فى لحظة واحدة بالضبط ، وقال (عصام) ، فى توتر كامل :

ـ من المتحدّث ؟!

أتاه صوت رجل مرتبك ، يقول :

ـ أنا (عبد الحميد) يا أستاذ (عصام) .. من المطبعة .

قال (عصام) فى عصبية :

ـ (عبد الحميد) من ؟! وأية مطبعة ؟!

حمل صوت الرجل دهشة كبيرة ، وهو يجيب :

ـ مطبعة الجريدة يا أستاذ (عصام) .. أنا (عبد الحميد) .. عامل الطباعة الليلى .. ألا تذكرنى ؟!

أشار ضابط المباحث إلى (عصام) متسائلاً ، فهزّ هذا الأخير رأسه نفيًا ، وهو يسأل المتحدّث :

ـ ماذا تريد منى ، فى هذه الساعة المتأخّرة يا (عبد الحميد) ؟!

أجابه الرجل ، فى صوت حمل كل توتر الدنيا :

ـ مقالك يا أستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى حدة .

ـ ماذا عنه ؟!

أجابه الرجل بنفس التوتر :

ـ لقد .. لقد فقدناه .

وثب (عصام) من مكانه ، صائحًا فى غضب :

ـ فقدتموه ؟! ماذا تعنى بأنكم قد فقدتموه ؟!

أجابه الرجل :

ـ لست أدرى يا أستاذ (عصام) .. كنا قد أعددناه للطباعة ، عندما اختفى فجأة ، ومنذ العاشرة والنصف ، ونحن نقلب الدنيا بحثًا عنه .

قال (عصام) فى حدة :

ـ ولماذا لم تحصلوا على نسخة أخرى من الكمبيوتر ؟!

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

ـ لم نعثر على أى أثر له فى الكمبيوتر أيضًا .

انعقد حاجبا ضابط المباحث ، وتبادل نظرة عصبية مع زميله ، قبل أن يشير إلى (عصام) ، الذى تضاعفت عصبيته ، وهو يقول للرجل عبر الهاتف :

ـ أى قول سخيف هذا ؟! كيف يمكن أن يختفى المقال ، وكأنه لم يكن ؟!

تنحنح الرجل فى حرج واضح ، قائلاً :

ـ هذا لم يحدث من قبل قط يـا أستاذ (عصام) .. صدقنى .

هتف (عصام) فى غضب هادر ، دون أن ينتبه إلى إشارات ضابط المباحث :

ـ وماذا يمكن أن أفعل الآن .. إننا فى منتصف الليل ، والمفترض أن يبدأ توزيع الجريدة فى الخامسة صباحًا .

قال الرجل بسرعة :

ـ ألديك نسخة من المقال يا أستاذ (عصام) ؟! لو أن لديك مسودته على الأقل ، يمكننا إرسال من يأخذها منك فورًا .

انعقد حاجبا ضابط المباحث فى شدة ، وتبادل نظرة عصبية مع زميله ، فى حين تراجع (عصام) بحركة حادة ، وهو يقول :

ـ ترسلون من يأخذها ؟!

أجابه الرجل فى لهفة :

ـ على الفور يا أستاذ (عصام) .

أدار (عصام) عينيه إلى ضابطى المباحث ، فأشار إليه أحدهما بالقبول ، مما جعله يجيب الرجل فى عصبية :

ـ فليكن يا (عبد الحميد) .. أرسل من يأخذ مسودة المقال فورًا .

أنهى الاتصال وجسده كله يرتجف ، من فرط الانفعال ، فى حين قال ضابط المباحث لزميله :

ـ إنه هو ولا شك .

هتف الآخر :

ـ خدعة سخيفة وغبية للغاية هذه المرة .. هل تصوّر أننا سنصدّق قصة المقال الضائع هذه .

قال الأوّل فى صرامة :

ـ اللعبة مليئة بالثغرات ، على نحو لا يتفق مع طبيعته .. أمر لم يحدث من قبل ، وشخص يجهله الأستاذ (عصام) ، ومندوب يأتى بعد منتصف الليل ، للحصول على مسودة مقال ، يفترض أن يرى النور بعد أقل من خمس ساعات .. يا للسخافة !

نقل (عصام) بصره بينهما فى توتر ، وأحدهما يتجه إلى الباب بمسدسه ، فى حين يراجع الآخر إجراءات تأمين المكان ، ويجرى اتصالاته اللاسلكية طلبًا للإمدادات والمساندة ..

ومضت دقائق بطيئة ثقيلة ..

مضت وكأنها دهر كامل ..

أو دهور ..

وأخيرًا ، أتى التحذير ، عبر اللاسلكى :

ـ سيارة تحمل شعار الجريدة ، توقّفت أمام المبنى ، وهبط منها شخص طويل ، دلف إلى المكان فى سرعة .

هتف أحد الضابطين بزميله :

ـ استعد .

ثم أشار إلى (عصام) ، مضيفًا بلهجة صارمة :

ـ ابق فى حجرتك يا أستاذ (عصام) .. سيادة العميد (عادل) أمرنا ألا نجازف بشأنك على الإطلاق .

همهم (عصام) معترضًا ، إلا أنه أطاعهما ، ودخل حجرته ، وأغلق بابها خلفه ، وهو يتساءل :

لماذا لا يشعر بالارتياح هذه المرة ؟!

لماذا يبدو له كل هذا خاطئًا ؟!

صحيح أنه لم يحدث أبدًا أن ضاع مقال له ، أو لأى كاتب آخر ، منذ عمل بالجريدة ..

وصحيح أنه لا يعرف (عبد الحميد) هذا ..

إلا أن الأمر كله يبدو له سخيفًا للغاية ..

سخيف إلى حد لا يتفق مع براعة ذلك الرجل مطلقًا ..

لذا ، فهو يشعر بأن الأمر يحمل شيئًا آخر ..

شيئًا لم ينتبه إليه أحد .

وفى حذر ، فتح باب حجرته قليلاً ، واختلس نظرة عبر فرجته الضيقة ..

كان الضابطان يقفان عند الباب فى تحفُّز تام ..

ثم ارتفع رنين الجرس ..

وتحرّك كلاهما فى خفة ، وسرعة ..

و ..

وفجأة ، التقطت أذنا (عصام) صوتًا خافتًا ، يأتى من خلفه ..

من موضع الشرفة تمامًا ..

وبكل توتره وذعره ، استدار إلى مصدر الصوت ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فأمامه مباشرة ، وعلى بعد متر واحد منه ، كانت هناك فوهة مسدس قوية ، مصوّبة إلى رأسه ..

وخلفها يقف قاتل ..

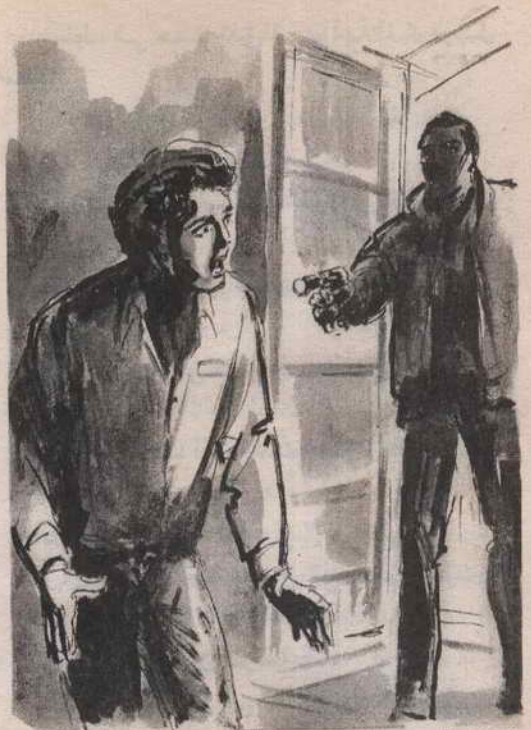

استدار إلى مصدر الصوت .. ثم انتفض جسده كله فى عنف .. واتسعت عيناه عن آخرهما .. فأمامه مباشرة ، وعلى بعد متر واحد منه ، كانت هناك فوهة مسدس قوية مصوَّبة إلى رأسه ..

قاتل يحمل اسمًا فريدًا ، فى عالم القتلة المحترفين ..

اسم (الطاووس) ..

★ ★ ★

هبَّ العميد (عادل) من فوق الأريكة الواسعة فى مكتبه ، وقفز النوم من عقله دفعة واحدة ، عندما اقتحم (عصمت) الحجرة ، هاتفًا فى حماس :

ـ سيادة العميد .. المعلوماتُ وصلت من الإنتربول .

كان (عادل) يشعر بإرهاق شديد ، وبدوار كان يمنعه من الوقوف على قدميه ، لولا أن استنفر كل كرامته وإرادته ليحفظ توازنه ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ ماذا قالت ؟!

أجابه (عصمت) فى سرعة :

ـ هناك بالفعل قاتل محترف ، مزهو دومًا كالطاووس ، وهو نصف مصرى ونصف إسرائيلى ؛ إذ إن والده مسلم وأمه يهودية ، التقى بها فى (موسكو) أيام كان يحصل على شهادته العليا ، من خلال بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفيتى .. وبعد موت الأب ، والطفل بعد فى العاشرة من عمره ، هاجرت به

أمه إلى (إسرائيل) ، وحاولت أن تحيا هناك ، بعد أن حصلت على الجنسية الإسرائيلية ، وحصل عليها ابنها بالتبعية ، كما تنصّ القوانين هناك(*) ، ولكن ظروف الحياة القاسية هناك ، وتجاهلهم لشهادتها الهندسية ، وإصرارهم على أن تعمل فى واحدة من معسكرات العمل هناك ، جعلها تهاجر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية هذه المرة ، مصطحبة ابنها ، الذى صار فى الخامسة عشرة من عمره .. وهناك ، وفى (نيويورك) بالتحديد ، نشأ (يوسف مراد) ، وهذا اسمه الحقيقى ، وسط أحد الأحياء الوحشية العنيفة ، وبين عدد من رجال العصابات ، ومندوبى (المافيا) ، وتعلّم أن الوسيلة الوحيدة للثراء ، فى ذلك العالم ، هى التفوّق ، وخاصة فى الأساليب الإجرامية العنيفة .. وهكذا ، وقبل أن يكمل العشرين ، كان يعمل كقاتل محترف لحساب (المافيا) ..

غمغم العميد (عادل) ، وهو يستعيد صفاء ذهنه بالتدريج :

(*) القانون الإسرائيلى يمنح الجنسية لابن الأم اليهودية فقط .

- يا له من تاريخ حافل !

تابع (عصمت) ، وكأنما لم ينتبه إلى التعليق :

- وكجزء من رغبته فى التفوّق والثراء ، راح ينمّى قدراته ومهاراته فى دأب وحماس لامثيل لهما ، حتى صار واحدًا من أشهر القتلة المحترفين فى العالم ، ومنظمات عديدة ، رسمية وغير رسمية ، تستعين به ، للقيام بعمليات خاصة ، والتخلّص من بعض غير المرغوب فيهم ، ومن هذه الجهات المخابرات المركزية الأمريكية ، و (المافيا) ، وحتى (الموساد) .

سأله (عادل) :

- ومن أدرانا أننا نتحدّث عن الرجل نفسه .

هتف (عصمت) :

- لقد أرسلوا صورته .

ثم رفع صورة كبيرة ، أمام وجه رئيسه مباشرة ، وهو يضيف :

- هل تبدو لك العينان مألوفتين ؟!

تطلّع (عادل) إلى الصورة فى إمعان ، قبل أن يردّد :

ـ هو (يوسف مراد) إذن ؟!

هتف (عصمت) :

ـ (سمارت جو) .. كما يطلقون عليه فى عالمه .

تطلّع العميد (عادل) إلى الصورة بضع لحظات أخرى ، قبل أن يرفع عينيه إلى (عصمت) ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ اطبع صورته ، وأرسل نشرة بأوصافه ، إلى كل رجل شرطة فى (مصر) ، وأبلغ العقيد (خالد) ، ليضع اسمه على قوائم الممنوعين من مغادرة البلاد ، و..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين هاتفه الخاص بغتة ، فاستدار يلتقط سمّاعته ، بحركة متوترة سريعة ، وقال :

ـ العميد (عادل محمود) .. من المتحدّث ؟!

أتاه صوت أحد الضابطين ، المكلفين حراسة ، وهو يهتف :

ـ سيادة العميد .. حمدًا للّه على أننى وجدتك .. لن يمكنك أن تصدّق ما حدث هنا يا سيادة العميد .. لن يمكنك أن تصدّق أبدًا .

وهوى قلب (عادل محمود) ..

بين قدميه ..

★ ★ ★

لم يكد جرس باب منزل (عصام) يدق ، حتى قفز أحد الضابطين يفتحه فى سرعة ، ثم صاح فى الواقف أمامه ، وهو يصوّب إليه مسدسه فى صرامة :

ـ قف فى مكانك .

أطلق الرجل شهقة مذعورة ، وتراجع صارخًا .

ـ ماذا حدث ؟! أين الأستاذ (عصام) ؟!

جذبه الضابط الآخر فى غلظة ، وراح الرجلان يفتشانه فى سرعة وحذر ، وأحدهما يسأله :

ـ من أنت ؟! ولماذا تفعل كل هذا ؟!

أجاب الرجل فى ذعر شديد :

ـ لم أفعل شيئًا .. أقسم لكما .. أنا (عبد الحميد) .. مسئول المطبعة الليلى .. أين الأستاذ (عصام) ؟! لقد أتيت لأحصل على مسودة المقال .. يا أستاذ (عصام) .. النجدة يا أستاذ (عصام) .

صاح به الضابط الثانى فى صرامة :

ـ اخفض صوتك يا رجل ، وإلا قطعت لسانك .

أغلق الرجل فمه فى ذعر ، وراح يلوّح بذراعيه ، ويطلق همهمات عجيبة ، فى حين واصل الرجلان تفتيشه ، وانتزع أحدهما حافظته ، وراح يفحصها ، قبل أن يلتقط بطاقته ، والتصريح الدائم لدخول مبنى ومطبعة الجريدة ، وقال فى توتر :

ـ اسمه (عبد الحميد عبد الله) ، وهو يعمل فى مطبعة الجريدة .

هتف الرجل :

ـ لقد أخبرتكما بهذا ..

ثم عاد يهتف :

ـ يا أستاذ (عصام) .. أستاذ (عصام) .

زمجر ضابط الشرطة الآخر ، قائلاً :

ـ هذا لو أن أوراقه حقيقية .

هتف الرجل :

ـ كلها حقيقية .. أقسم لك .

وغمغم الضابط الأوّل ، وهو يعيد فحص الأوراق لثالث مرة :

ـ إنها تبدو لى كذلك .

اتعقد حاجبا الضابط الآخر ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟! أهو عامل طباعة بالفعل ؟!

هتف الرجل :

ـ بالتأكيد يا سيادة الضابط .. سل عنى رجال الجريدة .. حتى رئيس التحرير نفسه يعرفنى .. صدقنى .. الأستاذ (عصام) نفسه يلقى علىّ التحية منذ سنوات ، كلما زار المطبعة ، ولكنه قد لا يعرف اسمى فحسب .

تبادل الضابطان نظرة عصبية ، ثم اتجه أحدهما إلى حجرة (عصام) ، قائلاً :

ـ انتظر هنا ، وسيحسم الأستاذ (عصام) الأمر بنفسه .

ودق باب الحجرة ، قائلاً :

ـ أستاذ (عصام) .. يمكنك أن تخرج .

ولما لم يتلقّ جوابًا ، دفع الباب فى حذر ، مستطردًا فى توتر :

ـ أستاذ (عصام) .

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

فباستثناء الشرفة المفتوحة ، والرسم الكبير لذيل الطاووس ، الملقى على الفراش ، كانت حجرة (عصام) خالية ..

خالية تمامًا .

* * *

٥ ـ اختطـاف ..

« خالية ؟! »

هتف العميد (عادل محمود) بالعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يواجه فريق الشرطة ، المكلَّف حماية الصحفى (عصام) ، قبل أن يتابع فى حدة :

ـ كلمة لا معنى لها فى عالمنا أيها الرجال .. لقد كنتم تحيطون بالمكان كله طوال الوقت ، و (عصام) كان هناك ، حتى آخر لحظة ، فكيف يمكن أن يتسلَّل شخص ما إلى المكان ، ويختطفه ، ثم يختفى هكذا .. بكل بساطة ، تحت سمعكم وبصركم وأنوفكم ؟!

قلب أحد الضباط كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ماذا حدث بالضبط يا سيادة العميد .. الأمر لم يستغرق سوى ثوان معدودة ، عدنا بعدها لنجده قد اختفى تمامًا ، وطاقم الحراسة أمام البناية أكَّد أن أحدًا لم يغادرها مطلقًا .

قال (عادل) فى صرامة :

ـ هذا يعنى أن (عصام) ما زال داخل المبنى .

قال ضابط آخر ، فى حيرة أكثر :

ـ لقد فتشنا المبنى بأكمله ، شقة شقة .. حتى السطح والجراج والقبو ، وكلها لا أثر فيها له .

قال (عادل) فى عصبية :

ـ إنه لم يتبخر بالتأكيد .

انعقد حاجبا (عصمت) ، وهو يتمتم :

ـ ذلك القاتل (سمارت جو) ، كما يطلقون عليه ، شاب حاد الذكاء ، جم المهارات ، ولقد تسلَّل إلى شقة (عصام) من طريق آخر ، غير المدخل الرسمى الرئيسى للمبنى ، وربما تدلَّى بوساطة حبل قوى من السطح مثلاً ، فاختطف (عصام) ، وحمله مرة أخرى إلى السطح ، ثم وثب إلى سطح المبنى المجاور ، أو ..

قاطعه العميد (عادل) فى صرامة :

ـ السطح المجاور يبعد اثنى عشر مترًا ، وحتى الرجل الخارق نفسه ، لن يمكنه أن يثب عبرها ، حاملاً شخصًا آخر على كتفه .

قال (عصمت) ، مدافعًا عن نظريته :

ـ ربما استخدم وسيلة ما .. حبلاً ممدودًا بين السطحين مثلاً ، تم تركيبه وإعداده مسبقًا .

انعقد حاجبا (عادل) ، وهو يتساءل .

- أتقصد شيئًا مثل أسلوب التليفريك ؟!

هتف (عصمت) فى حماس :

- بالضبط .

ازداد انعقاد حاجبى العميد (عادل) لبضع لحظات ، وهو يدرس ذلك الاحتمال فى ذهنه ، قبل أن يقول فى حزم :

- اتصل بفريق الرجال ، الذى يفحص المبنى ، وقل لهم أن يدرسوا هذا الاحتمال على الطبيعة .

أسرع (عصمت) لتنفيذ الأمر ، فى حين قال ضابط آخر :

- ولكن ما مصير الأستاذ (عصام) ؟! لقد اختفى منذ أكثر من خمس ساعات ، وربما فتك به ذلك القاتل بالفعل الآن .

هزَّ (عادل) رأسه ، قائلاً :

- كلا .. لو أراد أن يفتك به لفعل هناك .. لم يكن لديه ما يدعو لتجشُّم المزيد من الجهد ، وتعريض نفسه لمخاطر لا طائل من خلفها .. رصاصة واحدة ، من مسدس مزوَّد بكاتم للصوت ، كانت ستحسم الأمر فى لحظة .

انفرجت شفتا ضابط آخر ، ليقول شيئًا ما ، عندما اندفع (عصمت) عائدًا إلى المكان فجأة ، وهو يهتف :

- مفاجأة يا سيادة العميد .

التفت إليه الجميع فى توتر ، وسأله (عادل) فى عصبية :

- ما المفاجأة هذه المرة ؟!

لوَّح بالجريدة فى يده ، مجيبًا فى انفعال :

- مقال (عصام) .

هتف به (عادل) :

- ماذا عنه ؟!

اختنق صوته ، من فرط الانفعال ، وهو يهتف :

- لقد صدر فى موعده ومكانه بالضبط .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهم يحدقون فى الجريدة قبل أن يختطفها (عادل) من يد (عصمت) هاتفًا :

- ولكن هذا مستحيل ! لقد فقدوا المقال فى المطبعة ، ولم يعثروا له على أثر ، فى جهاز الكمبيوتر ، و (عصام) اختفى قبل أن يمنحهم مسوَّدته ،

التى لم نعثر عليها أبدًا ، فكيف يمكن أن يتمّ نشره فى موعده .

هزّ (عصمت) رأسه ، مغمغمًا :

- هذا لغز آخر .

وبسرعة ، جرت عينا (عادل) على كلمات المقال ، وعقله يحمل تساؤلاً واحدًا ..

أهو مقال (عصام) حقًا ؟!

هل تمت كتابته بطريقته وأسلوبه ؟!

أم ..

ومع تتابع الكلمات ، لم يعد لديه أدنى شك ..

إنه مقال (عصام) ..

مقال جديد ، لم يُنشر من قبل ..

المقال الذى فُقد تمامًا ليلة أمس ..

ودون تعليق واحد ، عاد (عادل) إلى مكتبه ، والتقط سمّاعة هاتفه ، قائلاً بلهجة آمرة ، صارمة ، حازمة :

- صلنى بمسئول طباعة الجريدة فورًا .

مضت لحظات ، خيم خلالها صمت أقسى من صمت القبور ، على الحجرة كلها ، قبل أن يعتدل (عادل) ، ويقول لمحدثّه عبر الهاتف ، فى صرامة :

- العميد (عادل محمود) ، من المباحث العامة .. أريد معرفة متى عثرتم على مقال الأستاذ (عصام) .

سأله المسئول فى قلق :

- ولماذا يقلق هذا المباحث العامة ؟!

قال (عادل) فى صرامة أشد :

- أجب السؤال من فضلك .

ازدرد الرجل لعابه فى توتر ، وأجاب :

- لقد اختفى المقال بوسيلة غامضة أمس ، ولم يمكننا العثور عليه أبدًا ، وبعد أن يئسنا ، وكدنا نستبدل به بعض الموضوعات الاحتياطية ، فوجئنا بمظروف يصلنا ، يحتوى المقال الأصلى ، وليس المسوَّدة ، التى لم يرسلها الأستاذ (عصام) ، وهكذا أمكننا اللحاق بالمطبعة ، فى اللحظات الأخيرة .

سأله (عادل) :

- من أحضر ذلك المظروف ؟!

أجاب الرجل فى سرعة وتوتر :

- لا أحد يدرى .. لقد تلقينا اتصالاً هاتفيًا ، أخبرنا خلاله شخص ساخر ، أننا سنجده فى مكتب الاستقبال بالجريدة ، وهذا ما حدث بالفعل .. ولقد أسرع أحد موظفى الجريدة يحضره إلينا هنا .

انعقد حاجبا (عصام) ، ومطَّ شفتيه فى سخط لبضع لحظات ، حتى إن الرجل غمغم فى قلق :

ـ هذا كل شىء يا سيادة العميد .

أجابه (عادل) فى حزم :

ـ فليكن يا رجل .. لقد أبديت تعاونًا مشكورًا .

وأنهى المحادثة ، وهو يرفع رأسه إلى رجاله ، قائلاً فى غضب :

ـ ذلك الوغد ما زال يسخر منا .

قال (عصمت) فى حزم :

ـ إنه يحتاج إلى درس قاس .

أضاف (عادل) :

ـ وسريع .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سمَّاعته فى سرعة ، وقال :

ـ العميد (عادل محمود) .

مع آخر حرف نطق به لسانه ، جاوبته ضحكة ساخرة عالية ، انعقد لها حاجباه فى شدة ، قبل أن يخترق أذنيه صوت مزهوّ يقول :

ـ من المؤكَّد أنك قد تعرَّفتنى مباشرة .. ولكننى

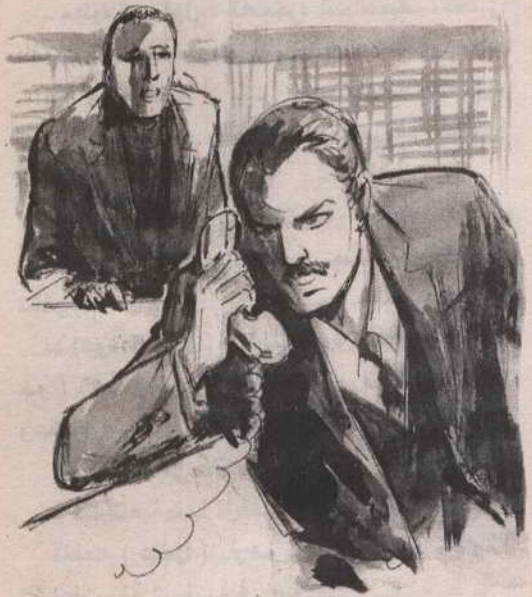

انعقد لها حاجباه فى شدة ، قبل أن يخترق أذنيه صوت مزهوّ يقول :
ـ من المؤكَّد أنك قد تعرَّفتنى مباشرة ..

لا أستطيع مقاومة تقديم نفسى .. أنا (الطاووس) .. الشخص الذى ..

قاطعه (عادل) فى صرامة :

ـ معلوماتى تقول : إنه مجرَّد اسم سخيف ، تخفى خلفه هويتك الحقيقية يا (يوسف) .

كان من الواضح أن ذكر الاسم قد صدم القاتل ، الذى حاول التظاهر بالثقة ، وهو يقول فى سخرية عصبية :

ـ (يوسف) من .

أجابه (عادل) فى صرامة ، حملت بدورها رنة ساخرة :

ـ (يوسف مراد) .. أم ينبغى أن أقول (سمارت جو) ، كما يطلق عليك رفاقك فى مهنتكم القذرة وعالمكم الشيطانى ؟!

هتف القاتل فى غضب :

ـ أنت تلعب بـ ..

قاطعه (عادل) ، وهو يواصل فى حزم ، وقد تضاعفت رنة السخرية فى صوته :

ـ من الواضح أن انتماءك إلى أم يهودية سوفيتية ،

وأب مسلم مصرى ، قد أصاب كيانك بنوع من الحيرة ، والتخلخل النفسى الضعيف ، وعقلك يصارع ما بين انتماء الأب ، وما تبثه فيك الأم ، ولا ريب فى أن انتقالكم إلى ذلك الحى العنيف فى (نيويورك) ، بعد مصرع والدك ، قد أصابك بصدمة عنيفة ، جعلتك تفقد إيمانك بكل القيم ، و ..

قاطعه (جو) هذه المرة ، فى عصبية شديدة :

ـ فليكن أيها العبقرى .. من الواضح أنكم قد ربحتم إحدى الجولات ، وأمكنكم الحصول على عشرات المعلومات الخاصة بى ، ولكن هذا لن يمكن أن يفيدكم للأسف .. اللعبة ستمضى بنفس القواعد .. سأواصل العبث بذلك الصحفى السخيف ، حتى يتحقَّق الهدف الرئيسى للعبة .

اعتدل (عادل) ، قائلاً :

ـ أيعنى هذا أنك لم تقتله بعد ؟!

استعاد القاتل ضحكته الساخرة العالية ، مجيبًا :

ـ أرأيت أننى مازلت الرابح أيها العبقرى ؟!

ثم أضاف فى شماتة :

ـ إننى حتى لم أخرجه من حجرته .

هبَّ العميد (عادل) من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

قهقه القاتل ، وقد استعاد كامل ثقته بنفسه ، وهو يقول :

ـ هل بحثتم أسفل الفراش ؟!

قالها ، وعاد يقهقه بملء فيه ، قبل أن ينهى الاتصال ، تاركًا العميد (عادل محمود) خلفه محتقن الوجه ، والغضب يتفجَّر من كل ذرة فى كيانه ..

فقد كانت المفاجأة عنيفة ..

ومحنقة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحًا ، عندما استعاد (عصام) وعيه ، داخل تلك الحجرة الصغيرة ، فى مستشفى الشرطة ، وتطلَّع إلى العميد (عادل) والرائد (عصمت) ، مغمغمًا :

ـ أين أنا ؟! ماذا حدث ؟!

انعقد حاجبا (عادل) ، دون أن يجيب ، فى حين قال (عصمت) فى ضيق :

ـ أنت هنا ، فى مستشفى الشرطة بعد أن زال عنك أثر مخدِّر محدود التأثير ، أما عن السؤال الثانى ، فأنت من ينبغى أن يمنحنا الجواب .

تطلَّع (عصام) إليهما فى حيرة شديدة ..

ثم فجأة ، وثب المشهد كله إلى ذاكرته ..

وفى ذعر عجيب ، وثب جالسًا على طرف فراشه ، وهتف :

ـ رباه !

سأله العميد (عادل) فى حزم :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

هزَّ رأسه فى قوة ، وقال :

ـ عندما دق جرس الباب ، استدرت لأشاهد ماذا سيفعل الضابطان مع القادم ، وفجأة شعرت بحركة ما خلفى ، فالتفتت إلى مصدرها ، ورأيت فوهة مسدس مصوَّبة إلىَّ ، ومن خلفها ذلك الطاووس الوغد ، يبتسم فى سخرية شامتة ، وقبل أن أنبس ببنت شفة ، ضغط زناد مسدسه .

ردَّد (عصمت) فى دهشة مستنكرة :

ـ أطلق النار ؟!

أجابه (عصام) ، وهو يهزّ رأسه فى قوة :

ـ كلاّ .. لقد ضغط الزناد ، فانطلق من فوهة المسدس رذاذ قوى ، غمر وجهى ، وتسلّل إلى أنفى ، و ..

زفر فى عصبية ، قبل أن يضيف :

ـ واستيقظت لأجد نفسى هنا .

مطّ (عادل) شفتيه ، وجلس على مقعد فى الركن ، يراقب (عصام) فى صمت ، فى حين قال (عصمت) فى ضيق :

ـ ما بين هذا وذاك ، كنا نحن نقلب الأرض بحثًا عنك ، دون أن يخطر ببال أحدنا قط ، أن ذلك الوغد قد خدَّرَكَ ، ثم وضعك أسفل الفراش ، وفرَّ من الشرفة كما أتى ، ثم عاد يسخر منا بعدها .

حدَّق (عصام) فى وجهه بضع لحظات ، وكأنما يذهله ما يسمع ، ثم لم يلبث أن ألقى رأسه على وسادته ، هاتفًا :

ـ لماذا يفعل بى كل هذا ؟! لماذا ؟!

ثم أضاف فى عصبية :

ـ كان الأفضل أن يقتلنى مباشرة .

ازداد انعقاد حاجبى العميد (عادل) ، وهو يتطلّع إليه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (عصمت) ، محاولاً تهدئته :

ـ لن يظلّ ذلك الوغد متفوّقًا طوال الوقت .. سنظفر به حتمًا ، و ..

قاطعه (عصام) ، وهو يهبّ جالسًا على فراشه فى عصبية :

ـ اظفروا به أنتم ، أما أنا ، فاعتبرونى خارج اللعبة .

سأله (عصمت) فى دهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟!

أجابه فى حدة ، وهو يلتقط قميصه :

ـ سأغادر هذا المستشفى على الفور .. لقد سئمت التواجد وسط الأطباء والمرضى ورائحة الدواء .. لقد دخلت المستشفى فى يوم واحد ، أكثر مما دخلت فى حياتى كلها ، و ..

قاطعه (عادل) فى صرامة :

ـ إنك لن تغادر المستشفى .

أجاب (عصام) فى عصبية :

ـ بل سأفعل .. حتى لو ..

هبَّ العميد (عادل) واقفًا فجأة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ عد إلى فراشك .

انفرجت شفتا (عصام) ، وأراد أن يقول شيئًا ، ولكن تلك النظرة المشتعلة ، فى عينى العميد (عادل محمود) ، جعلته يعود إلى فراشه فى بطء ، ويهمهم بكلمات غير مفهومة ، فتنحنح الرائد (عصمت) فى حرج ، وهو يقول :

ـ لو أنه يصرّ على الانصراف ، فلن ..

قاطعه العميد (عادل) فى صرامة :

ـ لا تناقش أوامرى أيها الرائد .

ثم شدّ قامته ، كعادته كلما همّ باتخاذ قرار حازم حاسم ، وهو يضيف :

ـ منذ هذه اللحظة ، أريد منكم أن تنسوا كل ما حدث ، وأن تنفذوا أوامرى فحسب ، مهما بدا لكم الأمر غريبًا .

قالها ، وراح يشرح لهم ما يطالبهم به ، فى اختصار شديد ..

واتسعت عيون الشابين فى دهشة ..

وانبهار ..

كاملين ..

★ ★ ★

سعل عامل المستشفى الكهل مرتين ، وهو يزيل الغبار عن مائدة صغيرة ، فى صالة الانتظار ، داخل قسم الطوارئ ، واعتدل فى تعب وألم واضحين ، وهو يلتقط سلة القمامة ، ويفرغها فى صندوق كبير ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها الرائد (عصمت) ، خارج حجرة (عصام) ، وهو يقول فى حنق :

ـ أوامر .. أوامر .. الأمر غير منطقى تمامًا هذه المرة .

سأله ضابط طاقم الحراسة ، الخاص بالعميد (عادل) :

ـ ماذا هناك بالضبط ؟!

أشار (عصمت) بإبهامه إلى حجرة (عصام) ، هاتفًا فى سخط :

ـ سيادة العميد يصرّ على البقاء مع الصحفى ، للاطمئنان عليه ، حتى يستعيد وعيه .

تردَّد ضابط طاقم الحراسة لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هل طلب تواجد أحد ضباطنا معه فى الحجرة ؟!

هزَّ (عصمت) رأسه فى حدة ، مجيبًا :

ـ بل أصرّ على البقاء وحده ، والأدهى أنه يصرّ على بقاء ضابط واحد هنا ، فى صالة الانتظار ، على أن يبقى باقى الطاقم فى سيارة الحراسة خارج المستشفى ، حتى لا يزعج النزلاء والزوّار .

حدَّق الضابط فى وجه (عصمت) بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف معترضًا :

ـ ولكن هذا مستحيل ! الأوامر التى لدينا تحتم ملازمتنا له كظله .. أنت تعلم أن ..

قاطعه (عصمت) فى حنق :

ـ أعلم .. أعلم .. لاتحاول إقناعى أنا .. اقنعه هو .

احتقن وجه ضابط فريق الحراسة ، وتردَّد لحظة ، قبل أن يغمغم فى حزم :

ـ إنه واجبى .

قالها ، ودقَّ باب حجرة (عصام) ، وانتظر بضع لحظات ، حتى سمع صوت من يدعوه إلى الدخول ، فدفع الباب ، واختفى داخل الحجرة فى سرعة ..

وفى حنق ، غمغم (عصمت) ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ يا للكبار ! ثقتهم الزائدة بأنفسهم تدفعهم للتخلّى عن كل قواعد الحيطة والحذر .

ابتسم عامل النظافة فى طيبة ، وهو يقول :

ـ الحذر لا يمنع القدر يا ولدى .

زمجر (عصمت) ، قائلاً :

ـ ينبغى أن نؤدى واجبنا أوّلاً .

مع آخر حروف عبارته ، غادر ضابط طاقم الأمن حجرة (عصام) ، ووجهه أشدّ احتقانًا من ذى قبل ، فضحك (عصمت) فى عصبية ، قائلاً :

ـ إنه مصرّ .. أليس كذلك ؟!

غمغم الضابط فى سخط :

ـ على نحو عجيب .

ثم أشار إلى رجاله ، قائلاً فى حزم :

ـ سأبقى بنفسى هنا .. اهبطوا أنتم ، وانتظروا فى السيارة خارج المبنى .. أبقوا اللاسلكى مفتوحًا .

قالها فى عصبية ، فهزَّ (عصمت) رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا فائدة .

غادر الجميع قسم الطوارئ ، وراح الضابط يتحسَّس المسدس المعلَّق تحت أبطه ، قبل أن يجلس على المقعد المواجه لحجرة (عصام) تمامًا ، فى صالة الانتظار ، فى حين تنهَّد (عصمت) ، وهو ينصرف بدوره .

ـ سألقاك فى المساء يا صديقى .

راقبه عامل النظافة ، وهو يغادر القسم كله ، ثم واصل عمله ، بنفس البطء والهدوء ، حتى بلغ النافذة ، فألقى نظرة عبرها فى حذر ، وتابع مراقبته لـ (عصمت) ، الذى استقل سيارته الصغيرة ، وانطلق مغادرًا المستشفى ، فتمتم فى خفوت :

ـ الحذر لا يمنع القدر .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، لا تتناسب مع طبيعته ومظهره قط ، وهو يضيف فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ حاول أن تتعلَّم هذا الدرس .

غمغم بالكلمات ، وتظاهر بمواصلة عمله ، وهو يتجه نحو حجرة استراحة أطباء الطوارئ ، فدلف إليها ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء ..

وفى حدة ، هتف به الطبيب الوحيد داخلها :

ـ ليس هذا وقت أعمال النظافة .. هيا .. اذهب الآن .. لقد قضيت ليلتى كلها ساهرًا ، وأريد أن أستريح بعض الوقت .

اتجه العامل نحوه ، قائلاً :

ـ أوافقك على هذا .

ثم وثب بغتة ، فى خفة مدهشة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، مستطردًا فى سخرية خافتة :

ـ ستستريح طويلاً .

اتسعت عينا الطبيب الشاب ، وهوى كالحجر ، ليتلقَّفه (جو) فى خفة ، ثم يرقده على الأرض ، مغمغمًا :

ـ أفضل من أى عقار مخدِّر .. أليس كذلك ؟!

ثم تحرَّك فى سرعة عجيبة ، فانتزع عن نفسه ثوب عامل النظافة ، والشعر الأشيب المستعار ، وأخرج من الصندوق ، الذى يدفعه أمامه شعرًا مستعارًا أشهب اللون ، وشاربًا ضخمًا ، ألصقه أسفل أنفه ، ثم ارتدى منظارًا طبيًا ، وعلَّق على صدره بطاقة هوية مغلَّفة بالبلاستيك ، تحمل صورته الجديدة ، مع

وعلّق على صدره بطاقة هويّة مغلّفة بالبلاستيك ، تحمل صورته الجديدة ..

شعار المستشفى ، والتقط سمّاعة أحد الأطباء ، وعلّقها برقبته ، وهو يتمتم :

ـ كنت أعلم أن التوتر سيدفعهم إلى ارتكاب الخطأ .. إن عاجلاً أو آجلاً .. كانت مسألة وقت فحسب .

وبسرعة وخفة ، أمسك المقشّة ، التى كان يتظاهر بتنظيف الممر بها ، وراح يفكّها إلى أجزاء صغيرة ، ألقى بعضها ، قبل أن يعيد تكوين البعض الآخر ، على نحو يؤكد أنه قد تدرّب على هذا ألف مرة من قبل ..

وخلال دقيقتين فحسب ، تحوّلت أجزاء المقشّة إلى مسدس ..

مسدس قوى ، مزوّد بكاتم للصوت ، وخزانة تحوى ست رصاصات من البلاستيك المقاوم للحرارة(*) ..

ست رصاصات تكفى لقتل فيل ناضج ..

(*) البلاستيك : مواد مخلّقة ، تنتج عن تفاعلات كيماوية معقّدة ، بين النواتج الثانوية للفحم والجير والزيت والقطن ، وتشترك كل أنواع البلاستيك ، بغضّ النظر عن طريقة صنعها ، فى خاصية واحدة ، هى إمكان تشكيلها وصبّها ، ويمكن تقسيم البلاستيك إلى نوعين رئيسيين ، نوع يلين بالتسخين ، ويتصلّب بالتبريد ، وآخر لا يتغير إلا بوسائل كيماوية فحسب ..

وفى هدوء ، التقط نفسًا عميقًا ، وابتسم فى سخرية ، متمتمًا :

ـ والآن .. إلى الهدف الرئيسى .

وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يغادر استراحة الأطباء ، عائدًا إلى الممر ، فى هيئة الطبيب ، واتجه فى جرأة عجيبة إلى ضابط طاقم الأمن ، وابتسم قائلاً فى بساطة :

ـ هل بقيت وحدك ؟! أين باقى الرجال ؟!

أجابه الضابط فى ضيق :

ـ سيادة العميد أمر باتصرافهم ، حتى لا يؤذوا مشاعر الجميع .

قهقه (جو) فى مرح عجيب ، قبل أن يقول :

ـ يا له من رجل شرطة رقيق المشاعر !

ثم اتجه نحو الحجرة مباشرة ، فهبّ الضابط من مقعده ، هاتفًا فى صرامة :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (جو) فى بساطة مدهشة :

ـ إنه موعد فحص الأستاذ (عصام) .

ثم ابتسم ، متسائلاً :

ـ هل تشكّ فى أمرى أم ماذا ؟! إننى أحد كبار الأطباء هنا .. يمكنك مراجعة أوراقى ، وبيانات بطاقتى .

وضحك مضيفًا ، وهو يرفع ذراعيه :

ـ هل ترغب فى تفتيشى أيضًا ؟!

تردّد الضابط بضع لحظات فى حرج ، قبل أن يقول :

ـ معذرة أيها الطبيب .. إنه واجبى كما تعلم .

ضحك (جو) مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هيا .. أدّ واجبك إذن .

تردّد الضابط مرة ثانية ، ثم قال فى حزم :

ـ تفضل يا سيادة الطبيب .. أدّ واجبك أنت .

عاد (جو) يبتسم فى ثقة ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك كثيرًا .

وفى هدوء ، دفع الباب ..

ودلف إلى الحجرة ..

كان العميد (عادل) يوليه ظهره ، ويبدو وكأنما غلبه النوم ، بعد تلك الليلة المرهقة ..

أما (عصام) ، فقد رقد على فراشه ، وتدثّر بالأغطية ، حتى كاد يختفى تحتها ..

وفى حزم ، تمتم (جو) :

ـ أخيرًا .. الهدف الرئيسى فى مرمى البصر .

ثم استلَّ مسدسه ، مضيفًا :

ـ ودون أية احتياطات أمن .

وفى حزم ، وخبرة ، وسرعة ، صوَّب مسدسه .. إلى الهدف الأصلى للعملية كلها ..

الهدف ، الذى من أجله عاد إلى مسقط رأسه .. (مصر) ..

ودون ذرة واحدة من التردُّد ..

وبابتسامة شامتة ساخرة ، ضغط (سمارت جو) زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته الصامتة ..

واخترقت رأس الهدف الأصلى ..

رأس (عادل) ..

العميد (عادل محمود) .

★ ★ ★

٦ ـ الحقيقة ..

لم تكد تلك الرصاصة الصامتة تنطلق ، فى حجرة (عصام) بالمستشفى ، وتخترق ذلك الجسد ، الجالس على المقعد المجاور للفراش ، حتى برز شخص من الباب الجانبى ، الموصل للحجرة الإضافية ، وانقضّ على (سمارت جو) كالبرق ..

كانت انقضاضة قوية عنيفة ، باغتت القاتل المحترف بحق ، حتى إنه لم يستوعب الموقف ، إلا بعد أن فقد سلاحه ، وتلقى لكمة كالقنبلة ، جعلته يرتدّ فى عنف ، ليصطدم بباب الحجرة فى قوة ..

ولكن الشاب كان محترفًا حقيقيًّا ..

فعلى الرغم من عنف المفاجأة ، أمكن استيعابها فى سرعة مدهشة ، حتى إنه قد انحنى فى خفة ، متفاديًا لكمة ثانية من (عصمت) ، الذى يهتف ظافرًا :

ـ خسرت هذه المرة أيها الوغد .

مال (جو) جانبًا ، ووثب إلى اليسار ، وانحنى يتفادى لكمة ثالثة ، ثم هوى على معدة (عصمت) بلكمة عنيفة ، هاتفًا :

- وأنتم أجدتم اللعبة .

ثم وثب ، يستقبل فك رجل المباحث بركلة قوية ، متابعًا :

- ولكنكم لم تربحوا المباراة .

تراجع (عصمت) ، مع عنف الركلة ، ثم لم يلبث أن استعاد توازنه فى سرعة ، واندفع يلكمه بدوره ، هاتفًا :

- أخطأت يا هذا .

وكال له لكمة ثانية فى معدته ، متابعًا :

- صحيح أنها مجرَّد جولة .

ثم دار حول نفسه دورة مرنة مدهشة ، ركل معها القاتل المحترف ، فى أنفه مباشرة ، وهو يضيف فى صرامة :

- ولكنها الجولة الأخيرة .

كانت الركلة قوية للغاية ، وماهرة بارعة إلى حد مدهش ، حتى إن جسد (سمارت جو) قد ارتفع عن الأرض لعشرة سنتيمترات أو يزيد ، ثم طار إلى الخلف فى قوة ، ليرتطم بالجدار فى عنف شديد ، ثم يرتدّ عنه ككرة من المطاط ، فاستقبله (عصمت) بلكمة كالصاعقة ، مكملاً :

- بالنسبة لك .

سقط (جو) على ظهره أرضًا ، وشعر بآلام فى رقبته ، وبطول عموده الفقرى ، إلا أنه لم يقارن بذلك الألم المخيف الرهيب ، الذى كان يدمى غروره وزهوه ، و (عصمت) يشدّ قامته أمامه فى ظفر ، قائلاً :

- لو أننى فى موضعك ، لاعترفت بهذا دون مكابرة .

عضَّ (جو) شفتيه ، فى مرارة لا حدود لها ، وشعر بالنيران تشتعل فى كل ذرة من كيانه ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يحتمل هذا ..

لقد اعتاد الانتصار ..

دائمًا ..

دون استثناء واحد ..

منذ قرَّر أن يقتحم ذلك العالم المخيف ، وهو يربح على طول الخط ..

لقد اهتمّ دائمًا بتدريب نفسه ..

واكتساب مهارات جديدة كل عام ..

بل كل يوم ..

وكل دقيقة ..

وهذا جعله دائمًا على القمة ..
بلا منازع ..
كل الاغتيالات التى قام بها فى حياته ، بهرت الجميع ..
مهما بلغت تعقيداتها ..
وصعوباتها ..
حتى لو بلغت درجة الاستحالة ..
فمع كل تعقيدات واستحكامات الأمن ، نجح فى اغتيال رئيس الحزب المعارض فى (بنما) ..
ورئيس وزراء (بورتريكو) ..
ورجل الأعمال الشهير فى (هونج كونج) ..
وملك الإليكترونيات فى (اليابان) ..
وحتى نائب رئيس (أرجواى) ، بكل ما أحاط به من وسائل واستحكامات أمن ..
ومن المستحيل أن يفشل هنا !!
فى (مصر) !
فى مسقط رأسه ..
فى البلد الذى علمته أمه ألا يكره سواه ..
بلد والده ..

أعداء أمه ..
وأقاربه ..
وأعداء شعبه هناك ..
فى (إسرائيل) ..
هذا ما لقنته إياه أمه على الأقل ..
وتدفّق بركان من الغضب فى عروقه ..
لا ..
لن يخسر هذه العملية ..
لا ..
وبحركة سريعة ، استنفرت كل ما تبقّى من قوته وإرادته ، أدار قدمه ، وركل مسدسه الملقى أرضًا ، ثم وثب برشاقة مذهلة ، واختطفه فى الهواء ، وهو يصرخ :
ـ لا .. المباراة لم تنته بعد .
انطلقت صرخته ، وهو يدير فوهة المسدس نحو رأس (عصمت) ، و ..
وفجأة ، وثب رجل أمامه ..
وهوى على فكه بلكمة ..
لكمة بدت كألف ألف قنبلة ، حتى لقد انتزعته من موضعه ، وألقت به عبر الحجرة ، ليصطدم بمقعد كبير ، وينقلب معه أرضًا ..

انطلقت صرخته ، وهو يدير فوهة المسدس نحو رأس (عصمت) ، و . . وفجأة ، وثب رجل أمامه . .

وقبل أن يستوعب الأمر ، كانت هناك فوهات خمس مسدسات قوية ، مصوَّبة إلى رأسه ، وبينها برز العميد (عادل محمود) ، الذى كال له اللكمة الأخيرة ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ حتى لو رفضت الاعتراف بالهزيمة ، فالواقع يفرض نفسه فى النهاية أيها الوغد .

حدَّق (جو) فى وجهه بذهول ، قبل أن يغمغم ، ورجال الشرطة يطبقون عليه ، ويضعون الأغلال فى معصميه :

ـ ولكن .. ولكننى أطلقت النار عليك بالفعل .

أشار (عادل) إلى الدمية الموضوعة على المقعد ، والتى ترتدى ثيابًا مطابقة لثيابه ، وهو يقول :

ـ تقصد أنك قد أطلقت النار على دميتى .

هتف (جو) ذاهلاً :

ـ دميتك .

وهنا برز (عصام) أيضًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كنا نتوقَّع أن تطلق النار على دميتى أيضًا .

نقل (سمارت جو) بصره فى عصبية ، بين الدميتين ، على المقعد والفراش ، قبل أن يقول :

- إذن فقد كنتم تتوقعون قدومى .

أجابه العميد (عادل) فى حزم :

- بل كنا واثقين من أنك ستبلغ أقصى درجات المجازفة ، فى الظروف التى صنعناها لك ، خشية ألا تواتيك فرصة كهذه قط .

قال (جو) فى عصبية ، وهو يشير إلى (عصام) :

- كان يمكننى أن أظفر به مائة مرة .

قال (عادل) فى سرعة :

- وحتى لو ظفرت به ألف مرة ، لم يكن هذا ليرضيك .

ثم أضاف فى صرامة :

- لأنه لم يكن هدفك أبدًا .

انعقد حاجبا (جو) ، دون أن ينبس ببنت شفة .. ودون حتى أن يستنكر ..

أو يعترض ..

فقط وثبت إلى ذهنه كلمات صارمة ..

« إياك أن يعرفوا هدفك الحقيقى .. »

« حتى لو وقعت فى قبضتهم .. »

« الفشل أفضل من كشف الهدف .. »

« الفشل أفضل .. »

« أفضل .. »

« أفضل .. »

« الخطة كانت متقنة إلى حد كبير .. »

انتزعه العميد (عادل محمود) من أفكاره بهذه العبارة الصارمة ، فرفع عينيه إليه فى صمت متوتر ، وسمعه يتابع :

- وأفضل جزء فيها ، كان سرقة البطاقة الشخصية ، لزميل (عصام) الراحل (هانى صابر) ، وانتحال شخصيته ، وإرسال ذلك الخطاب ، حتى يقود هذا تفكيرنا جميعًا إلى (عصام) ، ويدفعنا للبحث عن خصومه ، وكل من لديه دافع للانتقام منه ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- وكاد هذا ينجح فى البداية .

تمتم (جو) فى سخط :

- لقد نجح بالفعل .

تابع العميد (عادل) ، وكأنه لم يسمعه :

- ولكن أسلوبك كان أكبر نقطة ضعف ، فى الخطة كلها .

اتعقد حاجبا الشاب فى توتر ، والعميد (عادل) يواصل :

ـ فمع كل هذه الخبرات والقدرات والمهارات ، بدا من الواضح أنك لست مجرَّد مجرم عادى .

تمتم (جو) فى توتر :

ـ أشكرك .

تطلَّع إليه (عصام) فى دهشة ، وانعقد حاجبا (عصمت) فى غضب ، فى حين تجاهل العميد (عادل) هذه الكلمة تمامًا ، وهو يواصل :

ـ لقد أدركنا أنك شخص متميِّز ، لا يمكن أن ينتمى لعالم الجريمة التقليدى ، وأنه من المؤكَّد أنك تعمل لحساب منظمة كبيرة وقوية .

أضاف (عصمت) فى صرامة :

ـ (الموساد) مثلاً .

تماسك الشاب ، وهو يحمل وجهًا جامدًا ، خلا من التعبير ..

أو كاد ..

فقط اختلاجة رمش ، خفق معها قلب (عصام) ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى :

أما العميد (عادل) ، فقد بدا وكأنه لا يبالى بكل اعتراض أو تعقيب ، وهو يكمل حديثه ، قائلاً :

ـ وهنا برز أمامنا أهم سؤال ..

هتف (عصمت) :

ـ الدافع .

أشار (عادل) بسبَّابته ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالضبط .. الدافع .. ما الذى يدفع منظمة كهذه إلى استئجار قاتل محترف ، له كل هذه المهارات ، من أجل قتل صحفى مصرى ، يتعامل مع مئات المدنيين كل شهر ، ويمكن اغتياله ببساطة كبيرة ، وبوساطة رجل أقل كفاءة بكثير .

تمتم (عصام) فى سخط :

ـ ليس إلى هذا الحد .

لم يبدُ حتى أن (عادل) قد سمعه ، وهو يتابع :

ـ وهنا كان علينا أن نبحث عن دافع آخر .

غمغم (جو) فى عصبية ، وهو يجاهد على نحو عنيف ؛ للتخلص عبثًا من تلك الأغلال المعدنية ، التى تقيِّد معصميه :

ـ ليس بالضرورة .

أجابه (عادل) :

ـ بل بالضرورة .. ولقد حرت حقًا فى فهم الدافع الحقيقى ، حتى أشار تلميذى ومساعدى (عصمت) إلى أمر طاقم الحراسة الخاص ، الذى يلازمنى كظلى ، منذ أسندت إلىَّ مهمة متابعة ورصد كل جواسيس (إسرائيل) فى مصر ..

مرة أخرى ، اختلج جفن (جو) ..

واختلج قلب (عصام) بين ضلوعه ..

أخيرًا بدأ يفهم الموقف ..

ويستوعبه ..

ويشعر بالذعر منه ..

إذن فالهدف من كل هذا لم يكن هو ..

كان (عادل) ..

العميد (عادل محمود) ..

رئيس قسم مكافحة التجسُّس الأجنبى ، فى المباحث العامة المصرية ..

الرجل الذى أوقع ، فى العام الأخير وحده ، بسبعة من جواسيس (الموساد) فى (مصر) ..

هو كان مجرَّد طعم ..

طعم بسيط ؛ لجذب الانتباه ، بعيدًا عن الهدف الأصلى ..

قبل أن تتواتر أفكاره ، تابع (عادل) حديثه ، قائلاً فى صرامة :

ـ عندئذ فقط قفزت الفكرة إلى ذهنى .. لماذا لا أكون أنا الهدف الأساسى ؟! لماذا لا يكون الأمر كله مجرَّد لعبة ، لجذب انتباهنا بعيدًا ، ودفعنا إلى تركيز تفكيرنا وحراستنا على (عصام) ، مما قد يجعلنا ، دون أن ندرى ، نخفف من شدة الحراسة الخاصة بى .

انعقد حاجبا (جو) فى عصبية ، و (عادل) يكمل :

ـ فى البداية خشيت أن تكون مجرَّد فكرة نرجسية ، أو إحساس زائد بالأهمية ، وبأن العالم كله يدور حول محورى ، إلا أننى لم ألبث أن راجعت الأمر فى ذهنى مرات ومرات ، حتى كانت واقعة مهاجمة (عصام) فى منزله ، وتخديره ووضعه أسفل الفراش .. بعدها تأكدت الفكرة فى رأسى ، فالقاتل المحترف الحقيقى ، لا يمكن أن تبلغ به الرغبة فى العبث هذا القدر ، الذى

يفقده فرصة ذهبية كهذه ، فى أن يحقّق هدفه ، وينتصر على جهاز الشرطة بأكمله .

ثم أشار بسبَّابته ، مضيفًا بحزم رهيب :

ـ إلا إذا كان له هدف آخر .

وعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

ـ وهكذا قرَّرت توفير الوقت ، ودفعك إلى الهدف الرئيسى مباشرة .

أطلق (عصمت) ضحكة ظافرة ، وهو يقول :

ـ كانت خطة عبقرية .

ورمق (جو) بنظرة نارية ، مضيفًا :

ـ على الأقل كنا نحن من حدَّد موقع وزمان الجولة الأخيرة .

بادله (جو) نظرته بمثلها ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أعترف أنكم قد أجدتم اللعبة .

قال العميد (عادل) فى صرامة :

ـ وأنت وقعت فى الفخ كالغرّ الساذج .

أجابه فى عصبية :

ـ كان ينبغى أن أنتبه إلى الأمر .

قال (عصمت) ساخرًا :

ـ ثقتك المبالغة فى ذكائك وقدراتك ، وتصوُّرك أننا جهاز شرطة ساذج بسيط ، كلها عوامل أفقدتك الحذر اللازم .

قال العميد (عادل) :

ـ أضف إلى هذا فرصة غياب طاقم الحراسة القوى ، التى ينبغى استغلالها بسرعة ، قبل فوات الفرصة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ باختصار ، لم يكن هناك وقت لكشف حقيقة الأمر .

عضَّ (جو) شفتيه فى غيظ محنق ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجمع المحيط به ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ على الرغم من كل ما سمعته منكم ، يبقى الأمر مجرَّد استنتاجات ، بلا دليل واحد ملموس .

قال (عصمت) ساخرًا :

ـ هل نسيت أنك قد سقطت متلبسًا يا صاح ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً فى حدة :

ـ وهل تعتقد أن هذا يكفى ؟!

سأله (عادل) فى صرامة :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط يا (جو) ؟!

أجابه القاتل ، فى توتر بلغ حده الأقصى :

ـ أعنى أنه بدون اعتراف صريح كامل ، لن يمكنكم التيقُّن من صحة استنتاجكم ، بنسبة مائة فى المائة .

ثم اندفع من بينهم فجأة ، صائحًا :

ـ وهذا ما لن تحصلوا عليه قط .

وثب (عصمت) محاولاً الإمساك به ، ولكن القاتل المحترف أطلق ضحكة ساخرة عالية عجيبة ، وهو يقفز بكل قوته ..

نحو النافذة مباشرة ..

وصاح العميد (عادل) :

ـ أوقفوه .

ومع صيحته ، ارتطم جسد القاتل بالنافذة ، وحطَّم زجاجها ، فوثب (عصمت) ، محاولاً اللحاق به ، و ..

ولكنه هوى ..

هوى من الطابق الثالث ، وهو يطلق ضحكة ..

ضحكة ساخرة عجيبة ، بدت وكأنها تخاطب الشيطان نفسه ، وتناديه من أعمق أعماق الجحيم ..

ثم بغتة ، تحوَّلت الضحكة إلى صرخة ..

صرخة رجل أفاق من انفعاله ، وانتبه فجأة إلى ما فعل ..

وإلى الموت المقبل نحوه بسرعة مخيفة ..

سرعة السقوط ..

وبعدها بلحظة واحدة ، ارتطم جسد القاتل المحترف بالأرض ..

وتفجَّرت الدماء فى عنف ..

ثم انتهى كل شىء ..

وبكل سخط الدنيا ، هتف (عصمت) :

ـ ذلك الوغد .. لقد فضَّل الانتحار ..

انعقد حاجبا العميد (عادل) ، دون أن يجيب ، فى حين غمغم (عصام) فى توتر شديد ، وهو يلقى نظرة على الجثة المسجاة ، فى حديقة المستشفى ، ورجال الطوارئ يندفعون نحوها من كل صوب ، والدماء تتدفق من رأسها فى غزارة :

ـ من الطبيعى أن تأتى نهايته بنفس الغرابة التى تميَّزت بها حياته كلها .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتراجع إلى الداخل ، ويشيح بوجهه عن النافذة ، ويقول فى توتر أقل :

ـ العجيب أنه فى مصرعه ، مازال يبدو لى أشبه بالطاووس .

التفت إليه الجميع فى دهشة متسائلة ، فأكمل فى صوت استعاد الكثير من هدوئه :

ـ طاووس ذبيح .

ثم انعقد حاجباه ، مضيفًا بكل حزم الدنيا :

ـ بلا ذيل .

قالها ، فلاذ الجميع بالصمت ، وتبادلوا نظرة تحمل ألف ألف معنى ..

أما (عصام) ، فقد راح عقله يضع افتتاحية مقاله الجديد ..

المقال الذى سيحمل عنوان (ذيل الطاووس) ..

والتوقيع المعتاد ..

توقيع (ع × ٢) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

المطبعة العربية الحديثة

١٠٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء ..

د. نبيل فاروق

قضية ذيل الطاووس

* ما سر الرسالة ، التى وصلت إلى (عصام كامل) ، حاملة كل الخطر ؟!

* من ذلك المجهول ، الذى يسعى للعبث بالصحفى الشهير ، ثم قتله فى النهاية ؟!

* تُرى لماذا يسعى لكل هذا ، وما سر توقيع (ذيل الطاووس) ؟!

* اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع فريق (ع × ٢) ، فى حل اللغز ..

القضية القادمة

(قضية الدقائق الأخيرة)

مطابع سلاح التلميذ

الثمن فى مصر ١٥٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم